سلسلة الدراسات الجغرافية (1)

مقالات في جغرافية إقليم دارفور

أ.د. سمير محمد علي حسن الرديسي

2021

وحدة البحوث والنشر - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

مقالات في جغرافية إقليم دارفور - أ.د. سمير محمد علي حسن الرديسي

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

ردمك ISBN 978-99988-803-7-5
رقم الإيداع:0606/2021

سلسلة الدراسات الجغرافية (1)

مقالات في جغرافية إقليم دارفور

أ.د. سمير محمد علي الرديسي

الطبعة الأولى 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر- السودان
916.27 سمير محمد علي الرديسي،1981
ح٠م
مقالات في جغرافية إقليم دارفور = Geographical essays on Darfur region /
سمير محمد علي الرديسي .- الخرطوم : دار آريثيريا،2021
188ص؛24سم .- (سلسلة دراسات دول حوض البحر الأحمر)
الكتاب باللغتين العربية والانجليزية
ردمك 978-99988-803-7-5 ISBN
1. دارفور(السودان) - جغرافيا. 2. دارفور(السودان) -مقالات ومحاضرات أ. العنوان. ب.السلسلة.

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021

تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي-السودان - الخرطوم

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القاريء الكريم:

سلسة دراسات دول حوض البحر الأحمر مجموعة من الإصدارات الجديدة والدراسات المختارة؛ وهي ثمرة التعاون بين دار آرثيريا للنشر والتوزيع ومركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.

هذه السلسة هي باكورة إصدارات دار آرثيريا للنشر والتوزيع من إعداد وإشراف وحدة البحوث والنشر بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر تضمنت عدد من الدراسات المختارة التى تطرقت لبعض قضايا البحر الأحمر المختلفة ونشرت في مجلات القلزم العلمية المتخصصة ، وكتب أخرى تناولت موضوعات دول حوض البحر الأحمر وخاصة السودان. ويسر دار آرثيريا للنشر والتوزيع أن تسهم في تفعيل الحراك العلمي والبحثي بنشرها لهذه الدراسات والبحوث المتنوعة لترفد به مكتبة دول حوض البحر الأحمر والمكتبة العالمية بعدد وافر ومميز من الكتب القيمة ، محققة بذلك شعارها المطروح(نحو نشر علمى رصين وهادف).

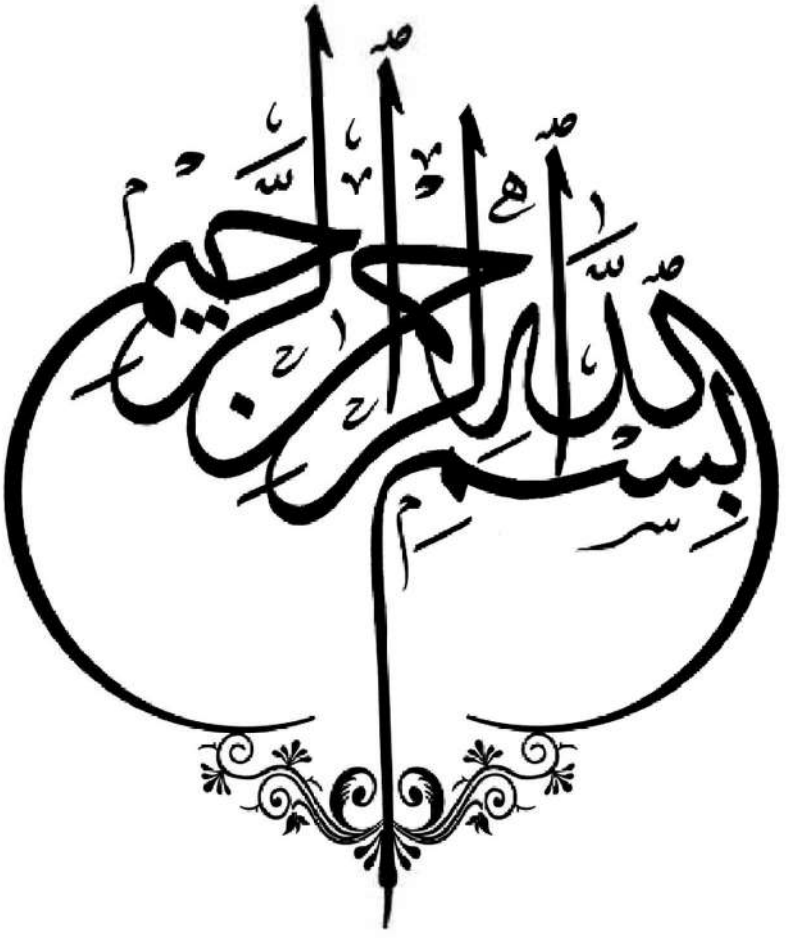
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الفصل الأول

مقدمة ..... (7)

ملامح من جيولوجيا إقليم دارفور.....(7-28)

الفصل الثاني

الأهمية الجيوستراتيجية للبحرالأحمر وعلاقتها بطريق الحرير الجديد.....(31-52)

الفصل الثالث

الأهمية الجيوستراتيجية للبحرالأحمر وعلاقتها بطريق الحرير الجديد.....(55-75)

المقدمة

حظي إقليم دارفور في السنوات الاخيرة بأهمية متزايدة بسبب الصراعات القبلية والعرقية المستمرة، والأعداد الضخمة من النازحين، والهجرة الداخلية الواسعة لوسط وشمال السودان، بجانب المشاكل البيئية الملحة، وموقعه الاستراتيجي وثراءه بالموارد الطبيعية وتجدد المصالح الدولية والتي حتماً ستحدد مستقبله الجغرافي والبيئي. يختص هذا الكتاب في مقالاته ببعض من هذه الموضوعات والتي ستحقق أهدافه لتضيف لما كتبه الباحثون والمراكز البحثية حول إقليم دارفور مما سيسهم في مناقشة العديد من القضايا التي تهم إقليم دارفور والسودان والأقطار في منطقة الساحل، بجانب فتحه أبواب لكتابات مستقبلية أخرى. يشتمل الكتاب على ثلاثة مقالات شملت ملامح من جيولوجيا إقليم دارفور، وأودية الصحراء القديمة: مسالك للاتصال الجغرافي بين وادي النيل وغرب السودان، والصراع القبلي وعوامل الجغرافيا في دارفور.

نسأل الله التوفيق والسداد

بروفيسور

سمير محمد على الرديسي

جامعة الخرطوم

مايو 2021

الفصل الأول

ملامح من جيولوجيا إقليم دارفور

الفصل الأول

ملامح من جيولوجيا إقليم دارفور

مقدمة

يعتبر التاريخ الجيولوجي لإقليم دارفور (الشكل 1) جزءاً من التاريخ الجيولوجي للسودان والذي يظهر قسطا من التعقيد. تمتد صخور القاعدة في السودان على أوسع مدى أسفل التكوينات الأحدث عمراً. يتكون السودان من كارتون notrac قاري من تضاريس الجرانيت – نيس مع أحزمة من الحجر الأخضر الطويل الضيق العارض وترجع لما قبل الكمبري. تعتبر صخور الأساس (xelpmoc tnemesaB) بمثابة التكوينات الأكثر امتدادا في السودان ، باستبعاد الترسبات السطحية(stisoped laicfirepus). ويعتقد أنها ترجع لما قبل الكمبري (1791 nametihW) وتتكون من نارية ومتحولة ورسوبية تغطي ما يزيد عن 94% من مجمل مساحة القطر. وهناك أيضا تكوينات أم روابة المتكونة من الطين والرمال والتي ترجع للعصري الثلاثي – الرباعي وترتبط بالتصريف النهري (etilaivufl) وتكوين البحيرات (enirtsucal) .وهناك تكوينات الحجر الرملي النوبي والقيتس (stig) التي ترجع للكريتاسي الأدنى والأعلى . وتغطي صخور الأساس 79% من مجمل مساحة سطح السودان.

التاريخ الجيولوجي والتراكيب الصخرية

وفقاً للملاحظات الجيولوجية المرافقة للأطلس الجيولوجي للسودان بمقياس رسم 0000001:1والصادر عن هيئة الأبحاث الجيولوجية في السودان ومؤسسة روبرتسون للبحوث العلمية (5991 SARG) توجد الصخور الأركية في دارفور في منطقة جبل عوينات ، وفي محافظات دارفور وذلك قرب جبل مرة والتي هي من نوع صخور النيس، وفوق جبل مرة نفسه نجد أن البراكين الحمضية قد اشتقت من صخور أساس أركية قديمة، ووفي الحدود الجنوبية مع جمهورية أفريقيا الوسطى يوجد تضاريس من النيس القديم يمكن أن تكون امتدادات لمجموعة نيس غرب النيل الأركية(neahcrA puorg ssieng eliN tsew). وتوجد ثلاثة نطاقات إستراتيجرافية خلال الصخور الخضراء (الأفيوليت) منها نطاق الاتصال السفلي rewol للبازلت- أندسايت البركاني مع صخور المانتل الموجودة أسفله مثل البيرودوتيت والهارزبيرقايت والجابرو ، والتي تحتوي على

معـادن النحـاس reppoc والنيـكل والبلاتنيـوم سـلبايد مـن نـوع كامبالـدا epyt adlabmak ويوجـد في عـدة مناطـق منهـا وادي عامـر في دارفـور ونطـاق الاتصـال العلـوي للبازلـت - أندسـايت الـبركاني مـع المترسـبات الكيميائيـة العلويـة مثـل الشـيرت وتكويـن الحديـد المطـوق dednab في جبـال النوبـة ومـن المرجـح في حفـرة النحـاس في دارفـور. وخـلال الزمـن الجيولوجـي الثالـث شـهد ذلـك السـطح نشـاطا وتأثـيرا فرضـت نتائجـه ردود الفعـل لحـركات باطنيـة واضطـراب وعـدم اسـتقرار في مـكان الضعـف القـشري في الأخـدود الأفريقي العظيـم.، وتمثـل ذلـك في نشـاط بـركاني وطفـوح مـن اللافـا في ودارفـور حيـث يقسـم ويتـمان (1791 nametihW) المظاهـر الطبوغرافيـة السـائدة في السـودان إلى وحـدات منهـا الأراضي البركانيـة المرتفعـة لجبـل مـرة والميـدوب في دارفـور (الشـكل 1).

الشكل 1: جيولوجية إقليم دارفور – جزء من جيولوجية السودان

لقد سجلت الأقسام الليثولوجية التالية في حفرة النحاس (الشكل 2) ، طبقا ل nametihW 1791 :

1. - صخور باطنية من قواطع الجرانيت والهورنبلند والسيانيت.كما يوجد التورمالين على نطاق ضيق.
2. المجموعة الأحدث عمرا والتي تتكون من الكوارتزيت الفلدسباتي cihtapsdlef والصخور الكوارتزية الأخرى التي يرجح أن أصلها بركاني ، والشست والشست الرمادي .
3. المجموعة الأقدم عمرا (مجموعة السهل (puorg nialp) : وتتكون من الجرانيت والهورنبلند والكلورايت شست ذي الأصل الناري ، والصخور النارية القاعدية والكوارتزيت المتبلور والشست الرمادي. وفي مجموعة السهول القديمة redlo puorg snialp لا تشيع البروزات الصخرية ، وللتورق مضرب زاويته قدرها 38 درجة وينحدر ناحية الشمال بزوايا 3. – 8. درجة على وجه العموم. كما تحدث اختلافات مكانية في الشست الرمادي ويضرب التورق بزوايا من 51 – 45 درجة وينحدر من 3. – 56 درجة إلى الشمال – الغربي. كما تستعرض esrevsnart بعض الظواهر المركبة في الكوارتزيت الأكثر قسوة.

الشكل 2: صورة فضائية لحفرة النحاس

توجـد الصخـور التـي تنتمـي للبروتيروزويـك الأوسـط إلى الأدنى elddim – rewol ciozoretorP (52..-1... مليـون سـنة ماضيـة) ، في شـمال وجنـوب دارفـور تتكـون مـن مجموعـة الكوارتزيـت ومجموعـة الكوارتزيـت شسـت وهـي غـير متوافقـة فـوق مجموعـة النيـس الأركيـة التـي يعتقـد أنهـا ترجـع للبروتوزويـك الأدنى : في مناطـق واسـعة مـن الكوارتزيـت قـرب زالنجـي وتتميـز صخورهـا بالالتـواء الشـديد ومتحولـة إلى الأمفبوليـت seicaf s'etilobihpma . وفي شـمال شرق جبـل مـرة توجـد عـروق تحـوي الحديـد حـول جرانيـت منطقـة كتـم (الشـكل 2) ترجـع لمنتصـف البروتيروزويـك كـما تـم التعـرف عـلى تكوينـات فـوق مافيـة sexelpmoc cfiamartlu مـع صخـور البروتيروزويـك بعـد البركانيـة cinaclov-atem والرسـوبية المتحولـة في المنطقـة الواقعـة شـمال أبـار راحـب في وادي هـور في شـمال دارفـور. وفي المنطقـة شـمال أبـار رحيـب في وادي هـور (المنحـدر مـن مرتفعـات زغـاوة) رصـد حجـر غرينـي وحجـر رمـلي أركـوزي متحـولان قليـلا ، وقـد يكونـان جـزءا مـن هـذه السلسـلة. وتتميـز جميـع هـذه الوحـدات بأنهـا مولاسـية وملتويـة، وبهـا انكسـارات ومـن المحتمـل أنهـا تراكمـت في الأحـواض الetanomarani أثنـاء المراحـل الأخـيرة مـن حـدث البـان – أفريـكان ، وهـي بالـضرورة تحتـوي عـلى صخـور تنتمـي لعـصر الباليوزويـك الأدنى . كـما توجـد صخـور تنتمـي للكمـبري والأردوفيـشي وسـط البراكـين في بعـض مركبـات الحلقـات وفي الغـرب عـلى امتـداد الحـدود مـع تشـاد. ففـي غـرب دارفـور أرجـع الحجـر الرمـلي للأردفيـشي بسـبب تشـابهه مـع الحجـر الرمـلي الموجـود في منطقـة المسـاليت ، والمرجـح أنـه ينتمـي للأردفيـشي عـبر الحـدود مـع تشـاد . وإلى الشـمال قليـلا عنـد إنـدي idennE رسـمت خرائـط للحجـر الرمـلي المنتمـي للكمـبري – الأردوفيـشي في تشـاد مكونـا تضاريـس ذات امتـداد كبـير sporctuo evisnetxe .وفي منطقـة جبـل عوينـات رصـد الحجـر الرمـلي الأردوفيـشي وأطلـق عليـه اسـم حجـر رمـل كاركـور تاهـل .كـما توجـد وحـدات تنتمـي للباليوزويـك الأدنى أسـميت طفـل وادي ودان وحجـر رمـلي سـليما .

الشكل 3: صورة فضائية لمنطقة كتم

نوجد صخور تنتمي للسليوري عند جبل عوينات وجنوب جبل كيسو الحجر الرملي البحري eniram وتسمى باسم تكوينات أم رأس .وقد تم تسجيل صخور الديفوني في شرق تشاد فهي بلا شك تمتد داخل السودان ، حيث رصدت عند هضبة رأس تاجيرو .وعرف الحجر الرملي الكربوني الداعم للنباتات منذ زمن طويل عند جبل عوينات . كما عرفت طبقات منتمية للكربوني جنوب مصر . كما رصد الحجر الرملي وحجر الطفل المتطبق detanimal (الذي ربما ترسب في بحيرة هامشية لمنطقة الجليد) في شمال غرب السودان. وفي الباليوزويك - وفي الميسوزويك (البيرمو - ترياسي) تم رصد الحجر الرملي المنتمي للبيرمو - ترياسي في شمال غرب السودان وأطلق عليه اسم تكوينات لاكيا noitamrof aikaL وهي توازن حجر رمل الكارو و الموجود في جنوب وشرق أفريقيا وبذلك يمكن اعتباره عضوا من مجموعة الكاروو الكبرى . وفي الميسوزويك: افترض وجود وحدات رسوبية تتراوح من الجوراسي إلى الثلاثي الأدنى في شمال غرب السودان يمكن تلخيصها كالآتي :

(البلايوسين) تكوين جبل أبيض

(الكريتاسي الأعلى) تكوين الكبابيش

الكريتاسي الأوسط	تكوين وادي هور
(الكريتاسي الأدنى)	تكوين الجلف الكبير
(الجوراسي)	تكوين سليمة

وفي السـينوزويك ciozoneC : حـدث الغـزو noisrucni البحـري في شـمال غـرب السـودان أثنـاء البلايوسـين أو الكريتـاسي المتأخـر . وقـد أدى فتـح البحـر للغـزو البحـري وترسـيب سلسـلات secneuqes فتاتيـة citsalc وكربونيـة etanobrac أثنـاء الثـلاثي. وقـد أدت البركنـة مـن نـوع etalp -artni في شـمال وجنـوب دارفـور وشـمال كردفـان إلى تطـور براكـين مركزيـة كبـيرة ، جبـل مـرة ، وحقـول مخروطيـة sdlefi enoc rednic مثـل تـلال الميـدوب. ورصـدت صخـور عـصر الباليوزويـك في دارفـور عـلى امتـداد الجبهـة الغربيـة مـن تشـاد إلى ليبيـا بـين خطـي عـرض 61 درجـة شـمالا و02 درجـة شـمالا وتمثـل اسـتمرار لـبروزات إردي – إنـدي (idennE – idrE)، وفي منطقـة جبـل عوينـات الممتـدة داخـل ليبيـا والسـودان.

وخـلال الزمـن الثـاني لم تكـن ثمـة احتـمالات للتغـير في بدايتـه عندمـا دعـت بعـض الحـركات الرأسـية لتغـير واضـح أثـر عـلى العلاقـة بـين اليابـس والمـاء. واقـترن ذلـك بطغيـان البحـر عـلى مسـاحات واسـعة مـن الصحـراء الكـبرى ومـن ثـم كان ذلـك مدعـاة لمرحلـة مـن الإرسـاب والـذي تـأتي في عـصري الجـوراسي الكريتـاسي مـن عصـور الزمـن الثـاني. وكانـت حصـة السـودان مـن الرواسـب تكوينـات تعـرف بالحجـر الرمـلي تتمثـل في رواسـب طباقيـة لا يتجـاوز سـمكها في مواقـع حظيـت بالحـد الأقـصى عـن 051مـترا ، وتعـرف بالمجموعـة النوبيـة. وينتمـي لتكوينـات عـصر الثـلاثي الصخـور البركانيـة لجبـل مـرة ومناطـق كتـم ومليـط والـبرتي أو مـا تسـمى تـلال تاقابـو ، وتـلال الميـدوب والمرتفعـات sporctuo المنعزلـة في دارفـور. ويمتـد غـرب الـبروزات النوبيـة sporctuo naibuN نطـاق مقعـرة مـن صُقـع الجمـل غـرب حمـرة الشـيخ إلى وادي هـور حيـث تحتـل جبـال الميـدوب الجـزء الأوسـط مـن هـذا النطـاق . كـما يجـب أن تكـون الـبروزات النوبيـة شرق وادي الملِك مقعـرة أيضـا. كـما توجـد بنيـة خـط تقسـيم ميـاه النيـل – الكنغـو – تشـاد بـين جوبـا وحفـرة النحـاس في دارفـور حيـث يظهـر هـذا الإقليـم في شـكل انتفـاخ llews يفصـل أحـواض تشـاد والكنغـو ومنطقـة السـدود (semloH 5691) طبقـا ل nametihW 1791.

وفقـاً للملاحظـات الجيولوجيـة المرافقـة للأطلـس الجيولوجـي للسـودان بمقياس رسـم 1:0000001والصـادر عـن هيئـة الأبحـاث الجيولوجيـة في السـودان ومؤسسـة روبرتسـون

للبحوث العلمية عام 5991نجد في خريطة **جبل عوينات** (بين 02-42 درجة شمال ، 42-03درجة شرق ، وتغطي منطقة قدرها 4درجات عرضية و6درجات طولية) عند الركن الشمالي الغربي للسودان يصل لارتفاع قدره 3981 م . ومن هذه المنطقة المرتفعة تنحدر الأرض بخفة yltneg تجاه النيل في الشرق إلى حوالي 3.. مترا . ومن ناحية فيزيوغرافية يمكن تقسيم المنطقة (الإقليم) إلى الجزء الشمالي الغربي المرتفع، وغطاء سليمة الرملي العظيم إلى الشرق. ويحيط بهاتين المنطقتين منطقة معقدة من الصخور الرسوبية الممتدة المنبسطة ويوجد بها أحواض اعتراضية من الرمال تسمى السرير (سهل من الرمل والحصى). وتفتقر المنطقة للصرف السطحي المحسوس ويسودها الأحواض المغلقة ذات الأصل المفرغ nigiro lanoitafled المفترض مثل ذلك الموجود عند riabrA ayiqaL . وتسمى الصخور الأركية عند جبل عوينات باسم سلسلة كركر مر seireS rruM rukraK.

وفي خريطة **العطرون** (تغطي 4 درجات عرضية و6 درجات طولية بين 61- 02ش ، 42-3.ق) ، ويقع الجزء الغربي من المنطقة في شمال دارفور بينما يقع معظم الجزء الشرقي منها في الولاية الشمالية مع جزء صغير في ولاية شمال كردفان في الجنوب الشرقي . ومن ناحية فيزيوغرافية يقسم وادي هور (الشكل 4) المنطقة إلى قسمين متساويين هما، قسم إلى الشمال من الوادي هناك أرض مرتفعة على امتداد حدود تشاد عند تلال عنيدي idennE بارتفاع يصل إلى 007م ، وقسم إلى الشرق تهبط الأرض تدريجيا عبر غطاء رملي ضخم مع ارتفاع يقل عن 006م قبل أن يرتفع مرة أخرى شرق العطرون. وتشكل الأرض المرتفعة هنا ظهرا egdir عريضا يجري شمالا من وادي هور عند بئر رحيب ويصل إلى أكثر من 008م. وتنخفض الأرض تدريجيا إلى الشرق مرة أخرى إلى حوالي 3.. م قبل أن ترتفع مرة أخرى إلى أكثر من 004م لتكون هضبة جبل أبيض. وإلى الشرق من الهضبة تستمر الارتفاعات حوالي 003م تجاه النيل. أما إلى الجنوب من وادي هور تتسع الطبوغرافيا المرتفعة بسرعة من بئر رحيب وترتفع إلى أكثر من 009م على امتداد الحافة الجنوبية من الخريطة. وإلى الشرق من هذه المنطقة المرتفعة تهبط الأرض تدريجيا إلى حوالي 004 م قبل أن ترتفع مرة أخرى لتكون هضبة جبل العين عند حوالي 005م. ويمثل وادي هور (الشكل 4) بقايا خط رئيس من التصريف والذي سال إلى النيل قرب الدبة. وإلى الجنوب من وادي هور ،وإلى حوالي 07كم إلى الشمال ، يظهر أن كل جريان الأودية يخص نظام وادي هور . ويتميز

نمـط التصريـف في النصـف الشـمالي مـن الخريطـة يمتـاز بأنـه نمـط مشـوش يعكـس وجـود عـدة مراكـز فرديـة مغلقـة مـن التصريـف مـن المرجـح أنـه تطـور حـول أحـواض انكماشـية .yranoitafled

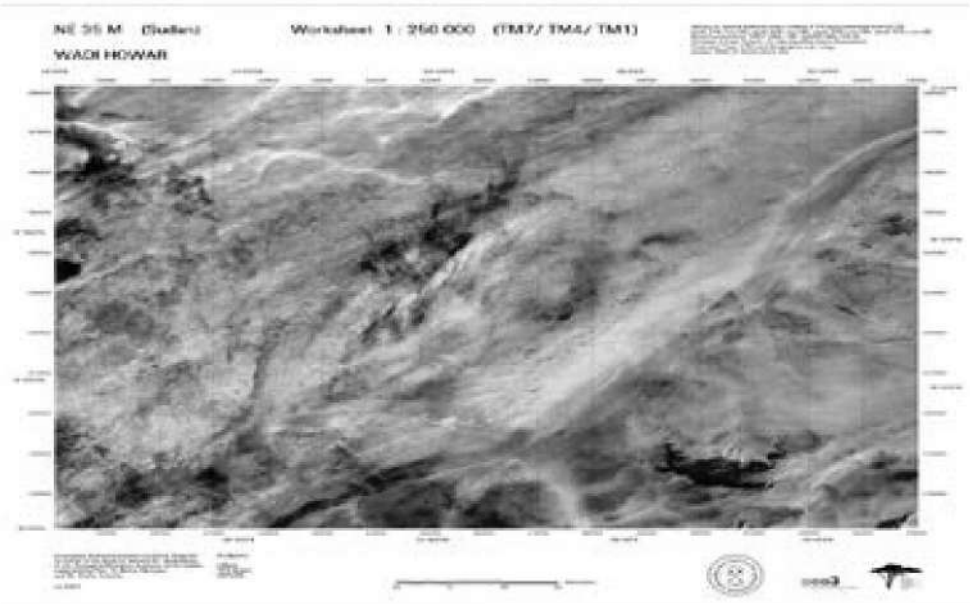

الشكل 4: صورة فضائية لوادي هور

وفي **خريطـة زالنجـي (الشـكل 5) التـي يحدهـا** مـن الـشرق خـط طـول 42 درجـة شرق ، ومـن الغـرب والشـمال الحـدود مـع تشـاد . وتتكـون المنطقـة مـن مرتفعـات ترجـع لصخـور الأسـاس sdnalpu tnemesab تمتـاز بالتمـوج وارتفاعـات تـتراوح مـن 008-0031م .وشـمال خـط عـرض 41 درجـة شـمال تقريبـا يتجـه التصريـف ناحيـة الشـمال داخـل وادي هـور وفي النهايـة تجـاه النيـل . وإلى الجنـوب مـن خـط عـرض 41 درجـة ش تجـري أوديـة التصريـف مثـل وادي كاجـا ووادي أزوم ووادي بـاري جهـة الغـرب حيـث تصـل في النهايـة إلى حـوض بحـيرة تشـاد المغلـق.

الشكل 5 : صورة فضائية لمنقطة زالنجي

وفي خريطة الفاشر (الشكل 6) الواقعة بين 21-61 درجة شمال ، 42-03 درجة شرقا نجد أن معظم المتطقة تتكون من سهل منخفض متموج يتراوح ارتفاعه بين 006- 056م فوق مستوى سطح البحر ، مع وجود بعض الجبال المنعزلة التي ترتفع حتى 007م. وترتفع الأرض ناحية الغرب مكونة الجزء الأساسي من قبة دارفور «rufraD emoD » ، التي مركزها بركان جبل مرة الذي يرتفع لأكثر من 0003م فوق مستوى سطح البحر. وتتميز المناطق البركانية الأخرى فوق جوانب قبة دارفور بأنها أكثر انخفاضا تتراوح بين 0091- 002م فوق مستوى البحر، وتضم تلال الميدوب وتلال تاقيبو obegaT . ويجري مستجمع المياه الموجود هنا من الشرق إلى الغرب على امتداد خط عرض 41 درجة شمال. وإلى الشمال من ذلك يجري معظم التصريف ناحية الشمال في وادي هور حيث يصل إلى النيل في نهاية الأمر. وإلى الجنوب من خط عرض 41 درجة شمال يتجه كل التصريف السطحي تجاه بحر العرب ، ومن هناك إلى النيل الأبيض.

الشكل 6: صورة فضائية لمنطقة الفاشر

ومـن خريطـة **بحـر العـرب**، بـين 8-21 درجـة شـمالا و 42-03درجـة شرقـا ، نجـد مناطـق واسـعة مـن صخـور الأسـاس في الركـن الجنـوبي الغـربي مـن المنطقـة وكذلـك في أقـصى الشـمال الغـربي والشـمال الشرقـي منهـا (**الشـكل** 7). كـما نجـد جـزءا مـن جبـال النوبـة ويمثـل الجـزء الشـمالي الغـربي مـن المنطقـة جـزءا مـن قبـة دارفـور ، ويمثـل الجـزء الجنـوبي الغـربي جـزءا مـن منطقـة صخـور أسـاس غـرب النيـل. ويـتراوح الارتفـاع في في الجـزء الجنـوبي الغـربي مـن المنطقـة بـين 005-006م ، مـع بعـض الجبـال التـي تصـل إلى 0021م . وفي جبـال النوبـة تكـثر الجبـال لحـد مـا إلا أنهـا منخفضـة قليـلا تصـل لحـوالي 0001م فـوق سـطح البحـر. ويتميـز الجـزء الخـاص بقبـة دارفـور بأنـه أكـثر انخفاضـا وبـه جبـال قليلـة يصـل ارتفاعهـا لحـوالي 007م عمومـا. تتكـون المنطقـة الوسـطى مـن سـهل فيـضي عظيـم تطـور فـوق أحـواض رسـوبية ترجـع للميسـوزويك ، ولـه ارتفاعـات مـن حـوالي 054م فـوق مسـتوى سـطح البحر.ويتكـون السـهل الفيـضي مـن دلتـاوات مروحيـة عظيمـة وأخزمـة فيضيـة وغيرهـا. وتتـصرف الميـاه شـمالا وجنوبـا داخـل بحـر العـرب الـذي يتـصرف ناحيـة الغـرب – الـشرق تجـاه النيـل الأبيـض.

الشكل 7 : صورة فضائية لمنطقة الجنينة

وفقاً للملاحظات الجيولوجية المرافقة للأطلس الجيولوجي للسودان بمقياس رسم 1 : 0000001والصادر عن هيئة الأبحاث الجيولوجية في السودان ومؤسسة روبرتسون للبحوث العلمية عام 5991 نجد في دارفور يشمخ جبل مرة البركاني الذي يبلغ ارتفاع جبل مرة إلى 9492 م فوق صخور الأساس (الشكل 8) حيث تصل قمته فوق هامش فوهة البركان الساكن إلى ارتفاع حوالي 3.3. م وهو شديد التضرس ممزق السطح بسبب تعرية مكوناته البركانية غير المتجانسة من التوفا واللافا. وهناك كتلة أخرى مماثلة إلا أنها أصغر حجما وهي تلال مايدوب المنعزلة. ورصدت شكة هنتينج gnitnuH lacinhceT secivreS 8591 السلسلة التالية لصخور الأساس في منطقة جبل مرة :

1. بيوتيت خشن الحبيبات ونيس محقون مع جرانيت وردي اللون til-knip—til-rap (وتعتبر هذه من الناحية البنيوية الطبقات الأكثر ارتفاعا) .
2. شست بيوتيت - فلسبار ناعم الحبيبات مع عروق من -til—til-rap ترتبط بالجرانيت تقطعه عروق من الابلايت citilpa

3. نيـس كوارتـز فلسـبار – yggafl مـع عـروق مـن الجرانيـت -til-rap—til (تعتـبر هـذه مـن ناحيـة بنيويـة الطبقـات الأقـل ارتفاعـا) .

وينكشـف هـذا القسـم لمسـافة 5 أميـال تقريبـا عـبر المـضرب واتجـاه التـورق هنـا يبلـغ 9. درجـة مـع وجـود انحـدارات ناحيـة الشـمال تتأرجـح حتـى 54 درجـة مـع انحدارات شـمالية غربيـة عنـد الطـرف الشرقـي مـن منطقـة جبـل مـرة. تضـم مجموعـة الباراشسـت والنيـس كالـك صخـورا جرانيتيـة دقيقـة الحبيبـات والبيوتيـت جرانيـت suorefitenarg setinarg etitoib .

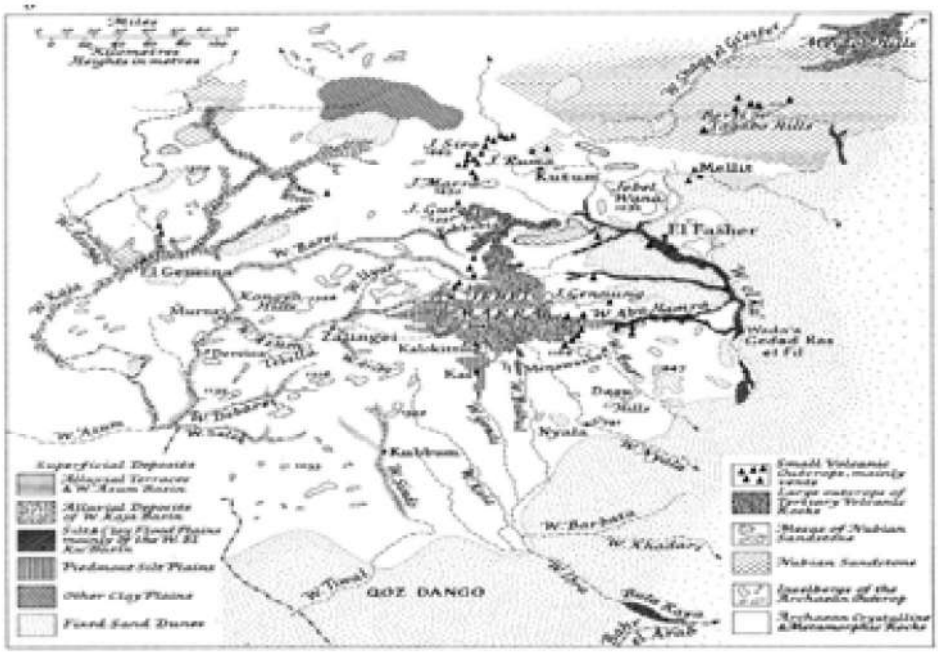

الشكل 8: خارطة جيولوجية جبل مرة

المصدر: Lebon and Robertson 1961

تتميـز معظـم هـذه الصخـور بأنهـا مقاومـة للتجويـة فإنهـا تشـكل تـلالا عـلى النقيـض مـن الشسـت المتبلـور ومجموعـة النيـس التـي تحتـل في العـادة المناطـق المنخفضـة. وفي بعـض المواقـع يحـدث التـواء لهـذه الطبقـات yllacinilcosi . وفي منطقـة جبـل مـرة توجـد الصخـور الناريـة المتورقـة وغـير المتورقـة . وتتكـون الصخـور الناريـة المتورقـة مـن الجرانيـت بجانـب الصخـور القاعديـة وفـوق القاعديـة التـي تشـكل متداخـلات رئيسـة. أمـا

الصخور غير المتورقة[1] فتضم الأنواع الحمضية والقاعدية ، ويرجع عمر بعض الصخور القاعدية إلى عصر الثلاثي . وبالقرب من قرية جلود توجد كتلة من الديورايت ، كما توجد مناطق واسعة من صخور الجرانيت قرب قرية كالوكتينج ، كما يوجد العديد من قواطع البيجماتيت والأباتيت.

الغطاءات الرملية

يمتد بين جبل مرة ومرتفعات جبال النوبة نطاق طويل من الكثبان الرملية لمسافة 69. كم من شمال الشمال الشرقي إلى جنوب الجنوب الغربي . وتكونت أثناء فترة جافة من فترات عصر البلايوستوسين . وينتهي نطاق الكثبان الرملية إلى الصحراء شمالا. وتتباين الصحراء في مظاهر سطحها فقد تكون هضابا صخرية أو حصوية ، أو تبدو في هيئة كتل ، أو تكتنفها التلال المنعزلة (القوز) ، أو تتحول إلى مساحات شاسعة من الكثبان الرملية المتحركة. ذلك أن من أهم مميزات تضاريس القارة الأفريقية وجود هضبة ممتدة من منطقة الصحراء الكبرى وحتى إقليم الكاب في جنوب أفريقيا ، يتراوح ارتفاعها بين 5.. إلى 51.. متر مع انعدام صفة الانتقال التضاريسي المفاجيء إلا في بعض المناطق القليلة. فهي هضبة ترتفع وتنخفض بصورة تدريجية وترتفع بسبب انخفاض المناطق المحيطة بها بسبب تأثير عوامل التعرية، مما جعل الهضبة تبدو أكثر ارتفاعا من تلك المناطق كما أن تباين صلابة الصخور أدى لارتفاع بعض المناطق على حساب مناطق أخرى (الخشاب والمشهداني 8791). وتمتاز هضبة أفريقيا بوجود السطوح التحاتية المكونة من هضاب مستوية تمتد لمسافات كبيرة . وقد تعرضت هذه السطوح لحركات دافعة دون أن تؤدي لتكوين سلاسل جبلية بالقدر الذي جعلها تحافظ على سطحها المستوي. ولكن تعرض هذا الأسطح للعمليات الخارجية أدى إلى بروز الصخور القديمة العميقة، وترتب على ذلك تباين سطح القارة بسبب تباين صلابة الصخور واختلاف تأثير عوامل التعرية. يشير الشامي (3791) ، إلى أن عوامل النحت والتسوية على امتداد الزمن الجيولوجي الأول والثاني ، باستثناء شمال شرق السودان ، قد خلقت سطحا تحاتيا مستويا في باقي أجزاء السودان. ويتراوح منسوب هضبة الصحراء الكبرى بين 0461 و 0094 قدم فوق مستوى سطح البحر ، وتنحدر تدريجيا من الجنوب صوب الشمال، ويتحول هذا الانحدار إلى انحدار مفاجئ في

1 - الصخور غير المتورقة : صخور لها نسيج في شكل بلورات متراصة بجوار بعضها البعض نتيجة إعادة تبلورها.

بعـض الجهـات كـما هـو الحـال في الجبـل الأخـضر في ليبيـا. وبهـا نطـاق مـن الحافـات المرتفعـة تمتـد مـن الجنـوب الشرقـي إلى الشـمال الغـربي لتقسـم الهضبـة لقسـمين شرقـي وغـربي ويضـم جبـل العوينـات **ومرتفعـات دارفـور** ومرتفعـات تبيسـتي. وتكـثر بهـا الأحواض المنخفضـة مثـل وادي النيـل ومنخفـض القطـارة وحـوض فـزان ومنخفـض بسـكرة وحـوض تاوديني وجنـوب موريتانيـا. وبهـا عـدد مـن الأوديـة الجافـة التـي كانـت تجـري بهـا الميـاه في عـصر البلايوستوسـين مثـل وادي الحمامـات والعلاقـي وقنـا والـوادي الفـارغ وأوديـة الشـاطيء والحفـرة وزيـز ودراع.

يشـير (1891 snekciW & yrraP) إلى أن جـزءا كبـيرا مـن كردفـان ودارفـور يغطيـه وشـاح eltnam مـن الرمـال يسـمى محليـا باسـم القـوز . ويختلـف هـذا الوشـاح في الشـكل والحجـم مـن : تـلال رمليـة منعزلـة تغطـي القليـل مـن الهكتـارات إلى : بقـع stcart واسـعة مـن الغطـاءات الرمليـة steehs dnas القليلـة الارتفـاع غـير المتموجـة تغطـي ألاف الكيلومـترات المربعـة. ويشـار لهـذه الغطـاءات الرمليـة أحيانـا باسـم بحـار الرمـال القديمـة التـي عرفتهـا الجهـات الرسـمية بأنهـا « ظواهـر ريحيـة أحفوريـة serutaef nailoeA lissof « تـم إرسـابها خـلال فـترات الجفـاف الشـديد في عـصر الربـاعـي are yranretauq . وتوحـي الدلائـل الجيومورفولوجيـة والبيدولوجيـة بـأن إرسـاب الرمـال في جنـوب دارفـور ، ومـن الممكـن في أماكـن أخـرى ، قـد كان حادثـا عرضيـا laidosipe ، وأن الرمـال قـد مـرت بعمليـة إعـادة فـرز لتكويـن التربـة sisenegodep وتأثـير نهـري laivufl خـلال الفـترة المطـرة مـن عـصر الرباعـي. ويشـيران (1891 snekciW & yrraP)أيضـا إلى أن القيـزان السـودانية تغطـي مـدى عـروضي egnar lanidutital يبلـغ حـوالي 1. درجـات بـدءا مـن خـط العـرض 91 درجـة شـمالا إلى خـط العـرض 3. درجـة و9 ثـوانٍ شـمالا حيـث لا تـزال الكثبـان نشـطة في شـمال كردفـان وجنـوب دارفـور حيـث قـوز دانقـو. ويغطـي قـوز سالسـيلقا وقـوز معاليـا غطـاء سـميكا مـن غابـات السـافنا العريضـة الأوراق . وقـد أظهـرت الصـور الفضائيـة الخاصـة بمنطقـة سـليمة في شـمال غـرب السـودان علامـات نيـم ضخمـة selppir agem يصـل ارتفاعهـا من01-03مـترا (9991 la te nosniboR) . وفي دراسـة فـاروق البـاز عـن الصحـراء الشرقيـة التـي تضـم أجـزاء مـن شـمال غـرب السـودان (8991 zaB lE) أشـار إلى أن معظـم الكثبـان الرمليـة تقـع في المنخفضـات الطبوغرافيـة وتتكـون معظـم رمالهـا مـن الكوارتـز وينكشـف الحجـر الرمـلي عـبر مجمـل الجـزء الجنـوبي مـن هـذه الصحـراء . كـما أن مجـاري الأنهـار الجافـة المغطـاة بالرمـال والتـي تتجـه ناحيـة الشـمال تنتهـي عنـد هـذه

المنخفضات. ويوحي هذا أن الرمال قد أرسبت في الغالب الأعم في قيعان البحيرات sdeb sekal خلال الأحوال المناخية الرطبة. ونتج عن التبادلات المناخية بين الرطب والجاف نحت ، ورسم هذه المترسبات في شكل كثبان رملية وأغطية رملية steehs dnas بواسطة الرياح الهابة جهة الجنوب. فمن المؤكد أن المنخفضات قد استوعبت كميات ضخمة من المياه السطحية خلال الأزمنة الرطبة وقد تسرب معظمها إلى الصخور التحتية عن طريق النفاذية الابتدائية / أو الثانوية.

للصحراء الغربية في مصر والسودان (5891 la te yeluaCcM) عدة نتائج، منها:

1- وجود تضاريس نهرية قديمة مدفونة niarret laivufloelap deirub مطبوع فوقها أثار التعرية الهوائية والترسيب والتي تتحكم على طبوغرافية معظم غرب مصر وشمال السودان.

2- وترتبط الصحراء الغربية في مصر والسودان بسلسلة من التصريفات النهرية المركبة desopmirepus والمخفية delaecnoc لأسفل من عدة سنتمترات إلى عدة أمتار بطبقة رقيقة reenev من الكثبان الرملية والأغشية steehs الرملية المرتبطة بهبوب الرياح ، حيث نتج عنه تكوين وتوزيع الوحدات الجيولوجية السطحية والتحتية tnecajbus متضمنة التربة الأم ودور الترسيب بفعل كربونات المياه الجوفية في تسجيل سلسلة الأحداث النهرية في عصر الرباعي، إضافة للتذبذبات المناخية في هذا الإقليم.

بما أن التقسيم الطبوغرافي قد بدأ بين مصر وتشاد بواسطة الرفع والبركنة التالية للرفع ، فقد أجبر نظام قنا للتقدم حول الأطراف البعيدة للترسبات البحرية التي تنتمي للأيوسين والتي تركها بحر تيست القديم. وليتم ذلك كون نظام قنا عن طريق التعرية الجانبية noisore laretal المتجهة شمالا الحافة المواجهة من الناحية الجنوبية لهضبة الحجر الجيري والمعروفة باسم سن الكذاب .

وقد حفظت الترسبات الرملية الساحلية لبحر تيست القديم على بعد 2.. كلم إلى الجنوب من هضبة سن الكذاب عبر البحر الأحمر في المملكة العربية السعودية قرب مدينة تربة التي هربت من تأثير التعرية بواسطة الأنهار التابعة للثلاثي. ومن الواضح أن نظام قنا قد انساب أسفل أسطح التعرية قبل أن يقطع رأسه dedaeheb نظام النيل ذو التعرية الرأسية تجاه المنبع drowdaeh . وتتميز البقايا الجافة من نظام قنا بوجود البلايا ayalp وترسبات الطمي stisoped nap dum قرب قاعدة المرتفع ، وبوجود المجاري المدفونة مثل تلك الموجودة جنوب واحة دنقل.

أما التصريف المائي لإقليم دارفور فيمكن للشكل 9 أن يلخص بعض ملامحه في شمال دارفور. و وفقاً للملاحظات الجيولوجية المرافقة للأطلس الجيولوجي للسودان بمقياس رسم 1:1..... والصادر عن هيئة الأبحاث الجيولوجية في السودان ومؤسسة روبرتسون للبحوث العلمية عام 5991 لمنطقة أحواض تصريف شمال بحر العرب حيث يجري التصريف في هذه المجموعة جنوبا وشرقا داخل النيل وبحر الجبل من الأراضي المرتفعة لجبل مرة وجبال النوبة. ومن الظواهر الملاحظة أنماط التصريف الإشعاعي laidar حول جبل مرة ، والتي يمكن أخذها بأنها تتضمن الرفع الذي حدث في عصر النيوجين ftilpu enegoeN والذي يمثل أيضا نفس الوضع بالنسبة لجبل مرة .

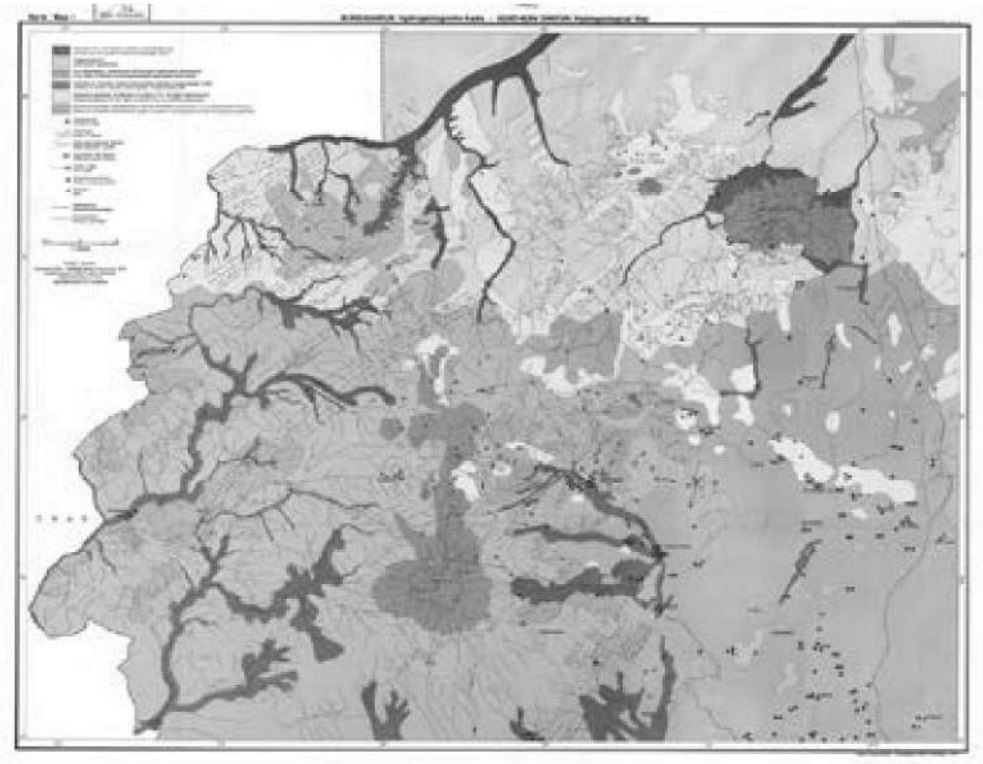

الشكل 9: الخريطة الهيدرولوجية لشمال دارفور

ولقد أظهرت دراسة أنماط التصريف في المناطق البركانية حول جبل ميدوب في شمال دارفور وتلال تاجيلو أن انبثاق noisurtxe البراكين قد أدى لانحراف مناطق واسعة لأنهار سابقة كانت تجري ناحية الشمال ، مما أدى لخلق حوض بحيرة nisab

ekal في فترة النيوجين عند أم بياضة . ويجري وادي هور أو شاو نحو الشمال الغربي ، وينتهي في الرمال، وينتهي وادي الكو جنوبا بدلتا صحراوية شرق مدينة نيالا.

قائمة المراجع

- El Baz, F. 1998. Sand accumulation and groundwater in the eastern Sahara. Episodes, vol.21,no.3, article 147,September 1999.
- Gras (Geological Research Authority of the Sudan).1995. Accompanying geological notes to the 1:1000000 scale geological atlas of the republic of the Sudan. Compiled by the staff of the Geological Research Authority of the Sudan& Robertson Research International Ltd.
- Lebon JHG, Robertson VC. 1961. The Jebel Marra, Darfur, and Its Region Author(s): Source: The Geographical Journal, Vol. 127, No. 1 (Mar., 1961), pp. 30-45 Published by: The Royal Geographical Society (with the Institute of British Geographers). Stable URL: https://www.jstor.org/stable/1793193 Accessed: 17-07-2019 06:32 UTC
- McCauley,J.F., Breed,C.S.,Grolier,M.J. 1985. Desert studies-A Global view. Defense Technical Information "DTIC".
- Parry,D.E. & Wickens ,G.E.1981. The Qozes of southern Darfur> The Geographical Journal,vol.147,no.3 p.p.3.7-32.
- Whiteman. 1971. Geology of the Sudan. Longman. London.
- الشامي ، صلاح الدين . 1973. السودان - دراسة جغرافية . منشأة المعارف بالإسكندرية . الطبعة الثانية.

الفصل الثاني

أودية الصحراء القديمة

مسالك للاتصال الجغرافي بين وادي النيل وغرب السودان

الفصل الثاني

أودية الصحراء القديمة

مسالك للاتصال الجغرافي بين وادي النيل وغرب السودان

مقدمة

توجد أودية قديمة وكبيرة في الصحراء كانت جزءاً من شبكة تصريف عظيمة لأودية منطقة دارفور وكردفان تنتهي في نهر النيل. وقد اتخذ البشر تلك الأودية مسالك للهجرة والتجارة بين وادي النيل وما يعرف حالياً بغرب السودان مما أدى لتأثيرات جغرافية وثقافية واضحة. فلغة الميدوب وبعض قبائل النوبة تحمل كثيراً من الكلمات ذات أصول نوبية(سعيد 2102). وقد يكون من المرجح أن شيوع أسماء الأنبياء في منطقة دارفور يرجع إلى ما قبل مجيء الإسلام إليها. وتشير هذه الشواهد الجغرافية والثقافية أن منطقة وادي النيل ومناطق غرب السودان هي مناطق متصلة جغرافياً وثقافياً منذ القدم حيث لعبت الأودية القديمة الدور الأساسي في ذلك قبل وسائل النقل والمواصلات الحديثة. ويهدف هذا المقال إلى توضيح دور الأودية القديمة في الربط الجغرافي بين منطقتي وادي النيل وغرب السودان، وتوضيح أثر ذلك الربط الجغرافي في النتاج الاقتصادي والثقافي والديني المشترك وإضافة معلومات جديدة قد تسهم في إعادة كتابة جغرافية وتاريخ السودان. شملت مصادر المعلومات الكتب المرجعية والأوراق العلمية والمعلومات ذات الصلة على مواقع شبكة الإنترنت. اتبع البحث المنهجين الإستقرائي والتحليلي لأسماء الأماكن الجغرافية على طريقة تفسير الأسماء المتبعة والتي توفرت لديّ من بعض المصادر، إضافة للشواهد الثقافية واللغوية والدينية وذلك للتأكد من فرضيات البحث التالية:

1. كانت الأودية القديمة مسالك للهجرة والتبادل الاقتصادي بين وادي النيل وغرب السودان.
2. تؤكد الشواهد الجغرافية والثقافية والعرقية في المنطقتين على دور هذه الأودية القديمة.
3. لعبت الأودية القديمة دوراً كبيراً في دخول اليهودية إلى دارفور مما قد يساعد في تفسير شيوع أسماء الأنبياء هناك أكثر من أي منطقة أخرى في السودان.

الإطار النظري

يؤثر تباين وسائل القياس المعتمدة على الأعضاء الحسية للإنسان على الإدراك الجغرافي للأماكن والتفسيرات الجغرافية للأحداث التي حدثت فيها (جاسم 2102). كانت الصحراء الكبرى منطقة رطبة غزيرة الأمطار والمياه وحافلة بالحياة النباتية والحيوانية والبشرية إذ أنّ المناخ كان مختلفاً عن ما هو عليه في الوقت الحالي وذلك قبل 0005 سنة ماضية. وقد تبدلت الصحراء الكبرى من أحوال المناخ المطير إلى أحوال الجفاف خلال 003 عام فقط (غادة 6102)، وتعرضت للتصحر والزرى بواسطة الرياح في الهولوسين الأوسط والمتأخر (4002,neelhtaK). ونتيجة لتغير المناخ في الآلاف الأخيرة قبل الميلاد بدأت الأراضي الخضراء تنحصر على ضفاف الأنهار والأودية (سامية بشير، بدون تاريخ).

تعتبر الصحراء الكبرى الموطن الأول لأقدم السلالات البشرية المعروفة، وتطور فيها الثقافات البشرية المبكرة واللغات الرئيسية في افريقيا (أحمد 8102). تؤكد بعض الدراسات الاثارية ان الحضارة التي كانت سائدة في وادي هور قبل 0003 سنة هي نفس الحضارة التي كانت سائدة في وادي النيل (مجلة الفيصل العدد 833). ويشار كذلك الى وجود حضارات ومدن يرجع تاريخها الى آلاف السنين مثل حضارة الاترينات المتمايزة عن حضارة وادي النيل وتعود إلى قرابة 0054 سنة قبل الميلاد (الفيلاني 7102).

اللغة النوبية إحدى اللغات السامية وأن تاريخ ظهورها في وادي النيل يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، لم تكن أول اللغات كان قبلها اللغة الفرعونية في ما قبل عهد مروي، وبانقطاع الصلة بمصر تلاشت معرفة الناس باللغة المصرية وحلت تدريجيا محلها اللغة المروية ، يرجح البعض ظهور اللغة النوبية إلى الفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والثاني الميلادي عندما ضعفت مملكة مروي. ويعتقد بعضهم بأنها جلبت للمنطقة بواسطة القبائل التي وفدت إليها من شمال غرب أفريقيا إبان سقوط مملكة مروي (صبري 2102). ويربط كثير من الباحثين تاريخ منطقة النوبة بتاريخ العبرية واليهودية. ويشير سرايا (أجيال 0102) إلى أن ابراهيم ولوط هما أول من جاء إلى مصر من العبرانيين حيث مكث سبعة سنوات الى أن «صعد إلى الجنوب وكان غنيا جدا في الماشية والذهب والفضة» ولا يقتصر العبرانيين على بني اسرائيل، إذ أن كلمة بني اسرائيل كلمة جامعة لجميع قبائل الأسباط الاثنى عشرة. وينسب اليهود إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب (ويكيبيديا، 9102، يهود).

أودية الصحراء الكبرى القديمة

تمتد الصحراء الكبرى فوق مساحة قدرها 9 ملايين و 001 الف كلم مربع ويتعدد أنواع التضاريس فوقها وتختلف درجات انحدار سطحها (الخارطة1). ورغم أنها الإقليم الأكبر والأكثر جفافا على سطح الأرض فقد كان ينصرف فيها الكثير من الأنهار التى طمرت حاليّاً أسفل مسطحات الرمال والكثبان الرملية، مما يكشف عن حدوث تحولات مناخية رئيسية (meerakledbA, la te ,2102,)، فوادى النيل الرئيسي في شمال السودان كان رطبا في الهولوسين المبكر. ويؤكد ذلك وجود بحيرة مساحتها 054 الف متراً مربعاً، كان يغذيها مجرى غزير المياه شديد الجريان مصدره نيل الهولوسين المبكر ، وذلك بين 5.9 إلى ryk5.7. (EEEI, 7002). ويدعم ذلك تاريخ النشاط النهرى في فترة السينوزويك في الصحراء الشرقية في مصر ، إذ وجدت أودية وأحواض عريضة ممتلئة بالطمى، ومجارى مجدلة تدخل في أودية عريضة ممتلئة بالطمى، ومترسبات مفككة، وأودية متثنية ضيقة وطويلة تجرى فوق صخور الأساس، وكذلك امتدادات من الرمال الريحية والمترسبات المغطأة بتضاريس البرخانات

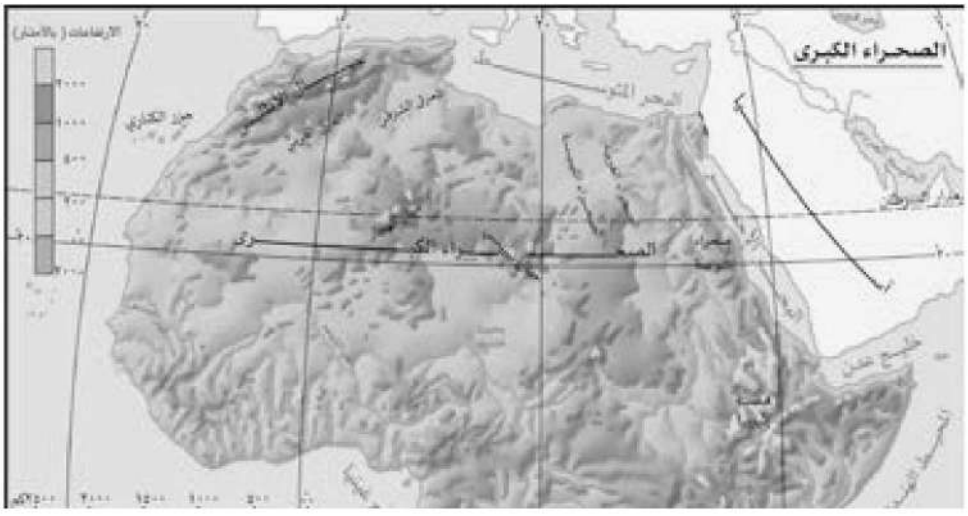

(IEEE 2007).

الخارطة (1): تضاريس الصحراء الكبرى

أظهـرت نتائـج المسـح الـرادارى للصحـراء الشرقيـة قنـوات تصريـف لأوديـة عنـد أعـماق بعيـدة أسـفل رمـال الصحـراء الجافـة تعـزى للتطـور الجيومورفولوجـي العظيـم lacigolohpromoegagem" لقـارة أفريقيـا (la te ekruB ,.etad oN). ويـدل هـذا على أن أوديـة الأنهـار الراداريـة قـد تكـون أجـزاءاً مـن نظـام نهـر النيـل القديـم بـدلاً مـن أن تكـون مجـرد مجـارى قطعهـا نظـام تصريـف أفريقـي عـرض يجـرى ناحيـة الغـرب ممتـداً مـن تلال البحـر الأحمـر الى دلتـا النيجـر (etad oN .la te ekruB). كـما ثبـت وجـود نهـر كبـير كان يمتـد عـلى طـول تـلال البحـر الأحمـر مـن اريتريـا إلى مخرجـه الحـالى منـذ الأولوجسـين ، إلا أن المجـرى المبكـر لهـذا النهـر لم يتأكـد بعـد في السـودان ، إلا أنـه قـد تأكـد في مـصر بأنـه يتجـه ناحيـة الغـرب (rogergcaM 2102). ويمكـن الاسـتدلال أكـثر بمـا حـدث في الصحـراء الكـبرى بالأحـداث المشـابهة التـي شـهدتها صحـراء الجزيـرة العربيـة حيـث كشـفت ناسـا عـن صـور لأنهـار قديمـة مغطـأة برمـال الصحـراء في الوقـت الحـالي (صـورة 1).

صورة (1): مجرى نهر عظيم غطته الرمال قبل 5000 عام في صحراء الجزيرة العربية
المصدر: وكالة الفضاء الامريكية (ناسا)

تشـير المصـادر الفينيقيـة والرومانيـة والمحليـة ممثلـة في النقـوش والرسـومات دلائـل عـن مسـالك الصحـراء. وذكـرت كثـير مـن المسـالك في مؤلفـات الرحالـة المسـلمين، فهنـاك طريـق الذهـب مـن سـلجامة الى مملكـة غانـا، والطريـق الشرقـي مـن فـزان عـبر كـوار جنوبـا الى حـوض بحـيرة تشـاد، والطريـق الشرقـي الـذي يخـرج مـن الواحـات عـبر كـوار نحـو النيجـر ثـم غانـة. ومـن مراكـز جنـوب الصحـراء هنـاك غانـة وكوكـو وزغـاوة (احمـد

الياس،3102). وبناءاً على هذه المصادر التاريخية القديمة رسم إدوار بلانك خريطة للطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى عام 9881م (الخارطة2). وعلى حسب تقدير الكاتب هنا أن هذه المسالك كانت في الغالب تتبع مصادر المياه والاستيطان البشري المرتبط بالأودية القديمة في الصحراء الكبرى، ومنها منطقة غرب السودان الحالية.

الخارطة (2) خارطة إدوار بلانك: الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى عام 1889م، الناشر الجمعية الجغرافية باريس

منطقتي وادي النيل وغرب السودان

تشمل منطقة وادي النيل هنا كل من الولاية الشمالية وولاية نهر النيل الحاليتين حسب التقسيم الإداري للسودان، ويشمل غرب السودان المناطق الواقعة غرب تلك المنطقة وحتى دولة تشاد غربا وتمتد من الحدود المصرية شمالا وحتى حدود دولة جنوب السودان، وعلى ذلك يضم منطقتي كردفان ودارفور بتقسيمهما الإداري الحالي (الخارطة3).

تقع منطقة وادي النيل المشار لها هنا ضمن نطاق السودان الجاف الذي يتميز بقلة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة معظم شهور السنة ويغطي سطحه الكثبان والمسطحات الرملية والجبال الانفرادية ويتميز سطحه بالاستواء وقلة الانحدار. أما منطقة غرب السودان فيوجد فيها مناخ السافانا الغنية في أجزائها الجنوبية ثم يتدرج المناخ إلى الصحراوي في أطرافها الشمالية، وعلى ذلك تتفاوت كميات المطر وتختلف درجات الحرارة بين أجزائها المختلفة. ويقطن المنطقتين عدد كبير من القبائل السودانية خاصة في غرب السودان مقارنة بوادي النيل هنا.

خارطة (3): أهم المدن في وادي النيل وغرب السودان

اتخذت أنهار الصحراء القديمة شكل أودية موسمية في السودان منها وادي هور ووادي الملك ووادي المقدم ووادي المنقور (الخارطة 4). فقد كان وادي هور، الذي أسماه فروبينيوس النهر الأصفر (اسامة عبد الرحمن بدون تاريخ)، دائم الجريان ناحية الشمال ثم اصبح موسمياً مثل نهر عطبرة الحالي. وينحدر وادي هور من مرتفعات ابنيدي التشادية ويعد أكبر الوديان الواقعة في الصحراء الكبرى. وقد تراكمت رمال

الصحراء عليه فجعلته أجزاء غير متصلة. وبسبب قلة الأمطار في المنابع جفت المياه وجفت الينابيع التي كانت موجودة. وفي الوقت الحالي يغذيه عدد من الأودية الكبيرة مثل الطينة وكرنوي بالقرب من الحدود التشادية ومجرور وبستمر في شق الصحراء التي تفصل بين ليبيا والسودان على مسافة 0021 كلم ليصب في النيل في دنقلا العجوز حيث يسمى هنا وادي الملوك. وقد أثبتت الدراسات أن منطقة الوادي تحتوي على مخزون كبير من المياه الجوفية وتوجد بها بحيرات نادرة تضم صخورا هشة وكثبانا رملية بالاضافة الى العطرون ومناطق الرخام ومعدن البوكسيت. أما وادي الملك فيصب في النيل في منطقة الدبة جنوب مدينة القولد، بينما يصب وادي المنقور في النيل قرب مدرينة مروي. وتظهر دلائل تؤكد على رطوبة مناخ الصحراء منها وادي القعب غرب مدينة دنقلا وهو عبارة عن واحة يقطنها بعض سكان المنطقة ووجدت دلائل أثارية قديمة في هذا الوادي.

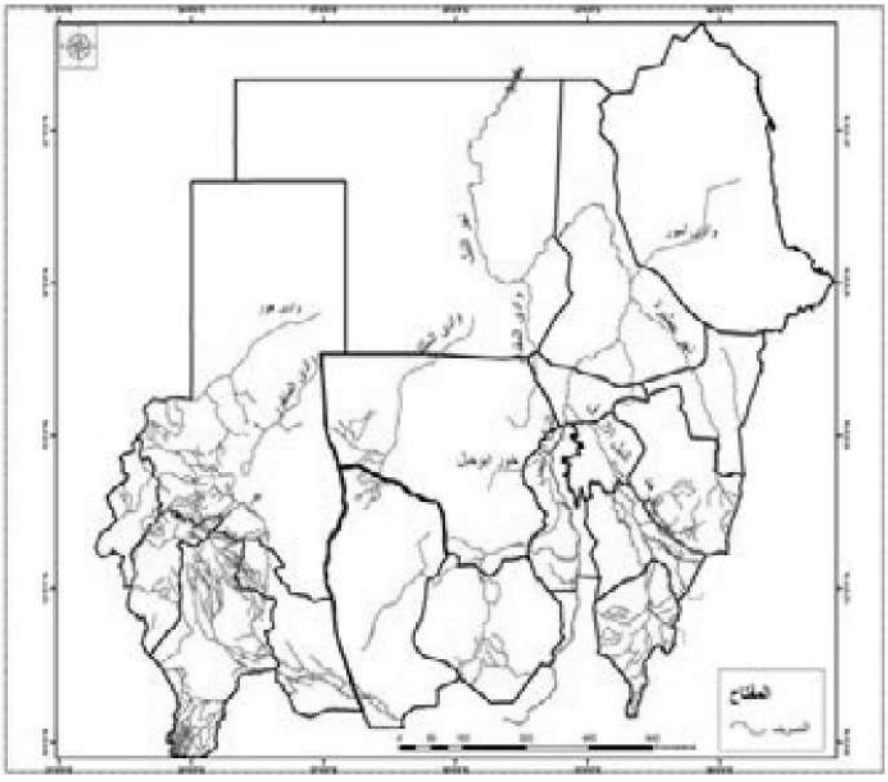

الخارطة (4): أودية الصحراء القديمة في السودان

الأصول العرقية المشتركة لسكان المنطقتين

من المرجح كثيراً أن يكون لأودية الصحراء القديمة الموجود في السودان وفي الصحراء الكبرى دوراً حيوياً في النتاج العرقي المشترك الموجود بين منطقتي وادي النيل وغرب السودان. فالسودانيون هم عبارة عن خليط من العناصر الزنجية والحامية (احمد، 4102). فالصحراء الكبرى الممتدة من البحر الاحمر وحتى الأطلسي يوجد فيها البربر، والبربر المستعربة، والاثيوبيين (التشاديين والحاميين)، والزنوج في جنوبي الصحراء (الموسوعة العربية 9102) والسكان ذوي الأصول العربية. وتعتبر السلالة E أقوى السلالات الأفريقية وأوسعها انتشارا في أفريقيا. وقد أثرت هذه السلالة على سلالات حوض البحر المتوسط والشرق الاوسط. وتوجد أعلى نسبة من هذه السلالة في الصحراء الكبرى ممثلة في الأمازيغ وسكان وادي النيل القدماء وسكان شمال وشرق أفريقيا (احمد، 4102). ويشير ماكمايكل إلى أن تحركات الشعوب التي أتت من جنوب دارفور وكردفان في القرون الميلادية الأولى والتي عرفت في المصادر اليونانية باسم النوبة والتي اجتاحت أراضي مملكة مروي في مناطق الجزيرة والبطانة وعلى طول النيل شمالي الخرطوم هي نفس سلالة سكان الجزيرة في القرن الثاني قبل الميلاد، وهم نفس سلالة الشعب الأسود الذي هزمه سيزستريس الثالث في الربع الأخير من القرن التاسع عشر قبل الميلاد في منطقة وادي حلفا (السودان الحقيقي كوش، 5102).

يسكن ولايات دارفور في الوقت الحالي كثير من القبائل ينحدر أغلبهم من سلالات السكان القديمة التي سكنت الصحراء أو هاجرت إليها في قرون تالية. فولاية غرب دارفور يسكنها حوالي ثلاث وخمسون قبيلة منهم المساليت والفور والقمر والتاما والمهادي العطرية والارتقا. ويسكن ولاية جنوب دارفور اكثر من ثلاث وثمانون قبيلة أهمها الصعدة والبرقو واليقو والأمبررو والرزيقات والهبانية والبني هلبة والسلامات والمعاليا والتعايشة. كما يسكن ولاية شمال دارفور البرتي والفور والزغاوة والرزيقات والتنجر والميمار والميدوب والزيادية والداجو (أسامة 9102). ويظهر وجود القبائل التي من المرجح أن أصولها ترجع إلى سكان الصحراء القديمة أو هاجروا من وادي النيل إلى هذه المناطق في شمال ولاية دارفور أكثر من أي جزء آخر منها، مثل الميدوب والزغاوة. وتسكن من قومية الميدوب في ولاية شمال دارفور التي تقع بين خطي طول 42-72 شرق وخطي عرض 21-02 شمال وبذلك تقع موازية عروضياً لوسط السودان النيلي ومتاخمة للحدود السودانية الليبية. وبالنسبة للأصل العرقي للميدوب فهناك من يرى

أنهم أحفاد ترهاقا (ويكيبيدا 9102)، وأنهم ينتمون الى الأصل النوبي ويتكلمون لغة أشبه بلغة النوبيين النيليين (محمد بن عمر التلمساني، بدون تاريخ). أما قبيلة الزغاوة فتوجد في وادي هور، وتمتد منطقتهم بين تشاد والسودان من شمال مدينة كتم الى شرق تشاد ومدينة الكفرة في ليبيا. يحترف الزغاوة الرعي والتجارة والزراعة المطرية. ويرجع البعض أصولهم إلى البرابرة الحاميون «أمازيغ» وهم الشعب الليبي القديم. وقد اتصلوا عن طريق البحر الأبيض المتوسط بالحضارات الفينيقية والمصرية والنوبية القديمة (تاولت 9102). ويطلق الزغاوة كلمة (بِري) على أنفسهم،ويقسمون البِري الى ثلاثة أقسام كبيرة هي الويقي والتوباء والوباراء (المعرفة 9102). وقد عرفت مملكة الزغاوة باسك مملكة كانم والتي تعني «الجنوب» في لغة القرعان (المعرفة9102). ولم يتبقى من الزغاوة القدماء إلا «الحداحيد» الذين يعيشون حياة عزلة وسط الزغاوة ويتحدثون لغة لا يفهمها غيرهم.

يشكل النوبة أحد أهم السلاسلات القديمة في ولاية جنوب كردفان حتى منطقة أبيي والتي لها صلة واضحة بمنطقة وادي النيل والصحراء الكبرى. كما يوجد قليل من البرقو والزغاوة والميدوب والبرقد. يعرف سكان الخوي باسم الحويون في اللغة النوبية القديمة وتضم الخوي المنطقة الصحراوية الواقعة شرق بلاد النوبة وغربها الى كردفان ودارفور. وتنقسم قبائل النوبة إلى مجموعات إثنية حسب اللغة هي الكواليب والنيمانج وتلودي والمساكين ولفوفا وتقلي وكادقلي وتيمن وكتلا والاجانجي والداجو والدواليب. ووسط مجموعة الاجانج توجد قبيلة كرورو وكدرو وكاركو وفندا والكدر(جعفر شاش 5002). ويطلق النوبة النيمانج على أنفسهم اسم «الأماويون» نسبة الى الأما حيث كانوا يعيشون في منطقة أمادا جنوب الشلال الأول ناحية اسوان والتي تعرف بالاسم نفسه. وقد كان لهم تواصل مع ملوك مصر حتى القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى بلوغهم ديارهم الحالية غرب الدلنج. كما نجد أن قبائل الغلفان والكدرو والتيما والجبال الستة بجبال النوبة الشمالية لها صلات لغوية بالحلفاويين في شمال السودان، كما يتفق قبائل نوبة كاشا بالقرب من أبو زبد مع الدناقلة شمال السودان (حسن 2102).

وفي الوقت الحالي يسكن ولاية شمال وجنوب كردفان قبائل أصولها عربية منها الحوازمة وأولاد حميد والمسيرية وكنانة وبني فضل والكبابيش. ومن المرجح أنهم قد سلكوا أودية الصحراء القديمة في الوصول إلى هذه المناطق خاصة وأنها قبائل رعوية تتحرك حيث ما توفر المرعي والماء.

حركة السكان والتبادل الاقتصادي بين المنطقتين

إتخذ السكان من تلك الأنهار القديمة (الأودية حالياً) مسالك للهجرة وللتجارة. فقد ازدادت الهجرة في بداية الألف الثالث قبل الميلاد إلى ضفاف النيل مكونة حضارات السودان القديمة التي ساهم في تكوينها جميع أسلاف السودانيين الحاليين. وتتضمن الفترة التي تبدأ في نحو الألف الرابع قبل الميلاد وتمتد حتى القرن الرابع الميلادي (أكثر من 0004 سنة) جميع حضارات المجموعات المبكرة وحضارة كرمة وحضارتي نبتة ومروي. بالنسبة لحضارات الفترة الأولى التي امتدت لأكثر من 0004 سنة فقد وجدت أثارها في كثير من المواقع في شمال السودان ووادي هور في شمال دارفور (سامية بشير، بدون تاريخ). إنّ دلالة الكلمات التي استعرض فيها فرعون قوته الاقتصادية في قول» وهذه الأنهار تجري من تحتي» أن فرعون موسى كان ملكا «فرعونا» سودانيا (محمود 5102). ونعتبر الحضارة الفرعونية المصرية بمثابة امتداد للحضارة الفرعونية الكوشية حيث المياه الوفيرة والأرض الخصيبة والأنعم الكثيرة. ففي السودان من الأنهار الدائمة والموسمية والأودية الجافة التي كانت فيها كميات مهولة من مياه الأمطار وعددها 04 واديا والخيران التي تحمل مياه السيول للنيل في الخريف وحيضان المياه الجوفية ومياه الأمطار ما يعضد ما أشار إليه محمود (5102) أعلاه. وقد تعامل المصريون القدماء مع بلاد يام التي يعتقد أنها أراضي كردفان ودارفور في الوقت الحالي (عبد الرؤوف ، بدون تاريخ).

كانت القرى والمدن المنتشرة غرب وشرق الصحراء حالياً متصلة بالنيل اتصالاً دائماً. وتؤكد طرق القوافل التي وصفها هيرودت على أن السمات الأساسية للتجارة عبر الصحراء قد وجدت منذ القرن السادس قبل الميلاد في شكل مراحل يومية تبلغ 05 كلم وسلسلة 01 مراحل من واحة الى التي تليها. فاذا كان مثل هذا الترتيب موجود في القرن السادس ق. م. فانه وبلا شك يكون قد وجد في القرن الأول- الرابع الميلادي (عالم الأمازيغ، 9102). وقد كان لوادي هور الذي يمتد طوله الى 0001 كلم أهمية خاصة لاقامة التبادل التجاري على الحدود مع السهل خاصة وأنه يتجه من جنوب انييدي الى بحيرة تشاد الى النيل الى الجنوب من دنقلا. وتعتبر هذه منطقة اتصال بين دواخل افريقيا ووادي النيل حتى أزمان قريبة. أما الإقليم الأسفل لوادي هور والذي يمتد قرابة 004 كلم من جبل رحيب شرقا الى النيل فلم يوضح بعد حتى في الخرائط الحديثة (اسامة عبد الرحمن، بدون تاريخ). والدليل على أن وادي هور كان بمثابة

سلسلة، على الأقل، من البحيرات المرتبطة ببعضها البعض حتى الالفية الثانية قبل الميلاد، ما تم الكشف عنه خلال السنوات الأخيرة مما أعطى ذلك أساسا جديداً لكل احتمالات وجود الصلات الاقتصادية بين النيل ودواخل أفريقيا بغرض التجارة وصيد الأسماك خلال فترة الهولوسين المبكر. كما كان له دور الوسيط لانتقال الثقافة عن طريق تحرك السكان في الألفية الخامسة بفعل الجفاف الذي أصاب الصحراء. وبهذه الوظيفة فقد فرض وادي هور نفسه عتبة ايكولوجية وملاذاً للناس مما يتيح لثقافتهم ان تتطور في وجه التوسع المخيف للصحراء (اسامة عبد الرحمن، بدون تاريخ). وفي الأجزاء الشمالية لدارفور توجد بعض الواحات مثل المالحة والعطرون وهي أسماء مرتبطة باستخراج الملح والعطرون الذي كان أحد أهم المتجات في تجارة الصحراء. وكذلك كانت بقية الواحات ووادي الملك والمقدم، والمنطقة الواقعة بين أسوان شمالا والنيل الأبيض جنوبا وبين البحر الأحمر شرقا ودولة تشاد غربا متصلة اتصالاً قوياً ببعضها البعض، إذ كانت عبر قرون طويلة مركزا للتجارة مع العمق الأفريقي (بيت الجغرافيا 9102).

التشابه اللغوي بين سكان المنطقتين

يرى فيرين وفق إشارةقاسم نسيم (3102) أن مدلول نوبي هو مدلول جغرافي وإثنوغرافي ولا علاقة له بالمجموعات المعروفة الآن بالنوبة. ويرجع ذلك إلى أنها وفدت مؤخرا من وادي هور،وهم نوباط، تحركوا من الصحراء الغربية بتشجيع من الرومان الذين كانوا يحتلون مصر منذ القرن الثالث الميلادي. وقد جعلوهم يقيمون على النيل ليصدوا بهم حملات البليميين على حدود مصر الجنوبية، وذلك عقب انهيار الدولة المروية. أما لغتهم فبعيدة عن لغة النوبة الذين أطلق عليهم قدماء المصريين هذا الاسم وهم أهل نبتة وأهل كرمة والإثيوبيين وقبائلهم هي نوبي مجا ونوبي يام ونوبي واوات ونوبي كاعو وهم منجمو الذهب وبناة الاهرامات

بينت الدراسات اللغوية أن اللغات التي يتحدث بها السكان في شمال وغرب وشرق السودان الآن تنتمي بصلة القرابة الى اللغة الكوشية المعروفة بالغة المروية، والتي كان يتحدث بها السودانيون في عصورهم القديمة (احمد الياس 4102). ونجد كثير من التطابق في الألفاظ والمعاني بين لغات المجموعة النوبية في جنوب مصر وشمال السودان ومجموعة غرب السودان وتتفاوت درجة التقارب بين فرع وآخر. حيث نجد كثيرا من المفردات المحسية والدنقلاوية في لغة الميدوب، أي أن الميدوب يتكلمون لغة

أشبه بلغة النوبيين النيليين (محمد بن عمر التلمساني، بدون تاريخ)، وكذلك الحال بين الدنقلاوية ونوبة الدلنج (احمد على 3102). ويرى نعوم شقير ( ) أن ظهور اللغة لدى قبائل المحس والكنوز والسكوت كانت في القرن الثالث الميلادي ويقول أنها أتت من جنوب كردفان وحملها الى ضفاف النيل بعض سكان النيل ، ولا تزال قبائل الميدوب والبرقد في الغرب يتكلمون نماذج منها وعلى ذلك يكون الميدوب قد هاجروا من الغرب الى النيل وليس العكس. ويشير محمد مصطفى (بدون تاريخ) إلى أن المهاجرون من بلاد النوبة عقب سقوط دنقلا الى جهات كردفان ودارفور هم نوبيين خلصاً بل كانوا يمثلون خليطاً من العرب والنوبيين الذين يعرفون بالنوبيون المستعربون، ومن هؤلاء سكان جبل الميدوب والبرقد. أما محمد عوض (بدون تاريخ) فيرى أن هناك عناصر نوبية في جبل الميدوب الواقعة شمال خط عرض 51 درجة ش نزحت هذه القبيلة من النيل ما بين 005-0001 ق. م. وهناك مجموعة أخرى نزحت في اتجاه الشمال الى النيل حيث عاشوا جنبا لجنب مع الليبيين الذين كانوا سكان البلاد في ذلك الوقت. وقد أرجع هارولد ماكمايكل أصل الميدوب الى دنقلا لان لغتهم تشتمل على كثير من مفردات اللغة النوبية وخاصة المحس (السودان الحقيقي كوش 5102). فمثلاً «كوت» تعني عند الميدوب «الأرض»، وفي شمال السودان تعني «أرض الحجر». ويعني اسم آدم في اللغة النوبية الدنقلاوية إنسان. وبالمثل لقبائل الغلفان والكدرو والتيما والجبال الستة بجبال النوبة الشمالية صلات لغوية بالحلفاويين، ولقبائل نوبة كاشا صلات لغوية مع الدناقلة في شمال السودان (حسن 2102).

تشابه أسماء الأماكن والظواهر الطبيعية بين المنطقتين

سنأخذ هنا بعض أسماء الأماكن الموجودة في غرب السودان الوقت الحالي ومطابقتها بأسماء بعض الأماكن في وادي النيل لتأكيد دور أودية الصحراء القديمة في إيجاد هذا القاسم المشترك. ففي منطقة الزغارة توجد إدارات منها كوبي، وهناك محلية «كومة» حيث تشترك البادئة «كو» مع أسماء كثير من الأماكن في منطقة الشايقية منها كورتي وكوري (الخارطة 5) وكوة في منطقة دنقلا. كما تعني «كوت» التي تحمل البادئة «كو» عند الميدب الأرض، وفي شمال السودان تعني أرض الحجر. ومن إدارات الزغاوة هناك دار تور، حيث من الممكن أن نجد البادئة «تو» في «تور» في أسماء أمكان في وادي النيل منها توتي. كما نجد من مدن الزغاوة كرنوي التي تشترك بادئتها «كر» مع كرو و»كريمة» و»كرفاب» في منطقة الشايقية، وكرمة في منطقة

المحس. أما اللاحقة «نوي» فيمكن أن توجد في أسماء مثل ناوا ونلوتة في منطقتي دنقلا والمحس. ويقرب اسم مدينة كاس من «كاسنجر» في منطقة الشايقية، كما تقرب «كليم» في دارفور من «كلي» في منطقة الجعليين. وهناك مدينة امبرو في منطقة الزغاوة ويمكن أن تشترك بادئتها «ام» مع اسماء مثل امبكول وامري في منطقة الشايقية. ومن المدن أيضاً هناك مدينة قنديلات حيث تشبه كثيراً اسم أحد التمور المعروف باسم «قنديله». وهناك مدينة العِديد والتي تظهر تاثير الثقافة العربية حيث يسمى البئر في اللغة العربية باسم العد والذي يصغَّر إلى عديد. أما اسم «نتيفة» في دارفور فيسمى به كثير من الأشخاص في ولاية نهر النيل.

الخارطة(5) : أسماء قرى ومراكز منطقة الشايقية – شمال السودان

ومن أسماء الجبال في ولاية وسط دارفور نجد جبل مره، ويقرب اسمه من «موره» و«مروي» في منطقة الشايقية. أما جبل «اورلا» فيقرب من «ارو» في منطقة المحس و «ارقو» و «اربي»في منطقة دنقلا، و«ارقي» في منطقة الشايقية.. ويشترك جبل «هور» في الحرفين الأولين مع اسم قرية «الهو» الواقعة بين العفاض وكوري في منطقة الشايقية، وقرية «هودي» على نهر عطبرة. ويشير اسعد (7102) إلى أنه قد ورد في التوراة : «ثم ارتحلوا من قادش ونزولوا في جبل هور في طرف أرض أدوم. صعد هارون الكاهن الى جبل هُور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر ....وكان هارون ابن مائةوثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل

هـور». أمـا جبـل «كرتـو» فيشـترك مـع «كـرو» و»كريمـة» و «كـرتي» في منطقـة الشـايقية، و»كرمـة» في منطقـة المحـس. ويقـرب اسـم وادي «دبـري» مـن «عـبري» في المحـس، كـما يقـرب اسـم «وادي ازوم» الـذي ينحـدر مـن جبـل مـرة ويتـصرف في تشـاد مـن اسـم «الزومـة» في منطقـة الشـايقية، ، كـما يقـرب وادي كجـا مـن «اكجـا» في منطقـة دنقـلا، ويقـرب وادي «دبـري» مـن «عـبري» و»دبـورة» في منطقـة المحـس.

مـن أسـماء الأماكـن في دارفـور هنـاك «نرتيتـي» وتقـرب مـن «نفرتيتـي» و»التيتـي» قريـة في منطقـة دنقـلا، و»مقنـارتي» في الشـايقية. أمـا «بنـدسي» فتقـرب مـن «تنقـسي»، وتقـرب «روكـرو» في بادئتهـا «رو» مـع اسـم «رومـي البكـري» ولاحقتهـا مـع «كـرو» قريـة في الشـايقية، أمـا قولـو فتقـرب مـن قولـد، وتشـترك «أم كـدادة» مـع «كـدي» و»كـدرو»، وتشـترك «كتـم» مـع «كتـي»، وتقـرب «مـشري» مـن «مشـو» في المحـس و»موشـا» في الشـايقية. وبالمثـل نجـد في ولايـة غـرب دارفـور «مـورني» وتقـرب مـن «مـوره» و» مـروي»، و»كريتـك» وتشـترك بادئتهـا «كـر» مـع «كـرو» و»كريمـة» في منطقـة الشـايقية، و»كرمـة» في منطقـة المحـس. أمـا «أنـج كـوتي» فتقـرب مـن «كـورتي» و «منصوركتـي»، وتقـرب «نـارتي» مـن «مقنـارتي» و «بنقنـارتي». أمـا «بلبـل» في دارفـور فهنـاك قريـة «البلبـل» في منطقـة الشـايقية. وتقـرب «أم لباسـة» مـن قريـة «باسـا» في الشـايقية. وتوجـد في منطقـة النيمانـج بجبـال النوبـة قريـة «كرمتـي» التـي تقـرب مـن «كرمـة» في المحـس (جعفـر شـاش 5002). وهنـاك الكثـير مـن الدراسـات التـي تؤكـد الصلـة بـين النوبيـين وجبـال النوبـة مثـل وجـود الأسـماء المشـتركة للقـرى مثـل عـبري وكـودي، ووجـود كلـمات ومسـميات لهـا نفـس النطـق والجـرس الموسـيقي والمعنـى مثـل كلمـة «بتـان» و»كومـاري» و»سـيبو»، واسـم «كـوشي» النسـائي (محمـد عبـاس، بـدون تاريـخ). وفي منطقـة جبـال ميـدوب نجـد جبـل «كوسـو» وبادئتـه «كـو» التـي تشـترك مـع النوبيـة في أسـماء كثـير مـن الأماكـن.

الديانات السماوية المشتركة بين المنطقتين

توزعـت مجموعـات المصريـين القدامـى والبجـا والنوبـة والعبريـين قبـل أكـثر مـن 0051 سـنة ماضيـة في أربعـة ممالـك هـي مـصر وكـوش ومـروي وأكسـوم وتشـكل اليـوم جـزءاً مـن منظومـة دول حـوض النيـل. يوفـر الإنجيـل بعـض الدلائـل المكتوبـة المبكـرة لاحتماليـة وجـود اليهـود في كـوش إذ ورد في الإصحـاح 11:11 مـا يـلي: « في ذلـك اليـوم سـيمد الـرب يـده للمـرة الثانيـة (ريكليـم بالانجليزيـة) مـا بقـي مـن ناسـه مـن أدنى مـصر، مـن أعـلى مـصر ، مـن كـوش، مـن ايـلام، مـن بابـل، مـن حـماث، ومـن جـزر البحـر» (miharbI

2102). كما جاء في سفر الملوك ما يلي: «حينئذ ذهب سليمان إلى عصيون جابر ومدينة ايلا على شاطيء البحر في أرض ادوم وارسل حوارم بيد عبيده سفنا وعبيدا يعرفون البحر فاتوا مع عبيد سليمان إلى اوفير واخذوا هناك اربعمائة وخمسين وزنه ذهب واتوا بها إلى سليمان». ويدل هذا المقطع على أخذ الذهب من أرض البجا إذ تظهر الكلمات البجاوية هنا مثل ايلا وتعني ابيض، وايلات وتعني الأرض البيضاء (جعفر 2102).

وقد انتقلت العبرية من وادي النيل النوبي عبر وديان الصحراء القديمة إلى غرب السودان. فقد ورد أن جبل مرة به عيون وينابيع جاء ذكرها في التوراة. ففي الاصحاح 33 الآيات 8-9 ورد « ثم ارتحلوا من أمام الحيروث وعبروا وسط البحر الى البرية، وساروا ثلاثة أيام في برية إيثام ونزلوا في مارّة... ثم ارتحلوا من مارّة وأتوا على إيليم. وكان في إيليم اثنتا عشرة عينا ، وسبعون نخلة . فنزلوا هناك». كما يشير عبد الله ماهر ألى أن جبل مرة هو جبل الطور (الادريسي 6102). كما وجدت أثار لأحد الأنبياء على صخرة بمنطقة «طور» بجبل مرة وأن السبط رقم إثني عشرة من قوم سيدنا موسى عليه السلام هو «الفور» الذين ينحدرون من أصل نوبي ينتسب لحام بن نوح، إضافة الى وجود شواهد على مقبرة أهل الكهف ووجود شعارات تدل على وجود الكتب السماويةالأربعة (فيصل 8102). كما ورد عن وادي هور في التوراة « ثم ارتحلوا من قادش ونزولوا في جبل هور في طرف أرض أدوم. صعد هارون الكاهن الى جبل هُور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر ....وكان هارون ابن مائةوثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور» (اسعد ، 7102). وقد تشير «أرض أدوم» إلى انتشار اسم آدم وتصغيره «الدومة» في دارفور.

ويعتبر النوبيون هم الوحيدون الذين يستخدمون البقر في الساقية « مما يؤكد أن موسى عليه السلام موطنه السودن (قصة البقرة) التي لا تستخدم في الحرث (لا تثير الأرض) ولا تسقي الحرث (لا تستخدم في الساقية)» (الخير 3102). وتستخدم البقر في جبل مرة أيضاً في عمليات الزراعة.

يوجد الكثير من الأسماء العبرية عند النوبة النيمانج منها موشي وشليمو والوون وارقوف واريال وألي وجولدا وقلمور. ويرجع السبب في ذلك إلى أن بعض المرويين كانوا قد اعتنقوا الديانة اليهودية وباعتبار ان النيمانج كانوا يقيمون هناك فليس من المستغرب أن تجد عندهم أيضاً الكثير من العقائد اليهودية. وبالمثل توجد عند قبيلة

الكواليب بعض الأسماء اليهودية مثل شاوول. كما يحمل النيمانج أسماء قبطية مثل فيروو وماريا وسارين وأسووا وارمين وتيتي وتامون ونيتي وباين وبادي وباما وني. وهناك أسماء للنيمانج ذات أصول مروية مثل كيناسا وكركمان وكدود، وكندكا (قاسم نسيم ، 3102).

من المعروف في أن أكثر أسماء أنبياء بني إسرائيل توجد وسط سكان منطقة دارفور ومنطقة النوبة في شمال السودان أكثر من أيّ منطقة أخرى في السودان. فقلّ أن تجد أسرة لا يوجد فيها أسماء مثل هارون وموسى واسحاق وسليمان وداوؤد ويعقوب، كما يشيع إسمي إبراهيم وصالح بالمثل. ويرجع البعض ذلك إلى تمسكهم بالإسلام وتسمية الأبناء بأسماء الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم كما هو الحال في بعض مناطق السودان. وهذا صحيح في جوهره ولكن كثرتها هنا أكثر من أيّ منطقة أخرى في السودان من الممكن أن يرجع إلى ما قبل دخول الإسلام إلى تلك المنطقة.

دخل الإسلام إلى مناطق غرب السودان عن طريق التجار ورجالات الطرق الصوفية التي وفد بعضها من شمال وغرب أفريقيا مثل الطريقة التجانية. وبالرغم من أن بعض القبائل الوثنية في جبال النوبة لم تعتنق الإسلام ولا المسيحية قبله فقد ظهر تأثير هاتين الديناتين، ومن قبلها اليهودية، في بعض الطقوس التعبدية للآلهة التي يعبدونها. وقد ظلت بعض الشعائر التعبدية المرتبطة بفترة ما قبل دخول الإسلام موجودة وسط من اعتنق الإسلام منهم.

المناقشة

تتسم ملامح سكان وادي النيل وغرب السودان والصحراء بالتشابه الواضح مما يشير إلى أنهم ينحدرون من أصل عرقي واحد أو من عدة أصول اختلطت ببعضها البعض. فالمصادر العربية تشير إلى أن سكان الصحراء الكبرى القدامى كانوا من البيض والسود الأصليين، ولا يوجد جنس أفريقي واحد بل توجد أجناس أفريقية ذات الوان مختلفة تتراوح بين اللونين الأسود والأبيض. ويعتبر سكان الصحراء القدامي هم السكان الأصليين في المنطقة والذين انتشروا على شواطيء الأنهار والبحيرات ومناطق هطول الأمطار الغزيرة من نهر النيل شرقا الى موريتانيا غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى قرب مناطق جنوب السودان. وقد وصلت مجموعات قوقازية من أوروبا واسيا الى شمال أفريقيا منذ نحو 01 الف سنة وانتشرت مجموعات منهم في الصحراء الكبرى فكونوا الى جانب العنصرين السابقين، الأسود والأسمر، سكان الصحراء والذين عرفوا

بالبربر حين كانت الصحراء خصبة. ونتيجة للتغير المناخي وسيادة أحوال الجفاف تحركت مجموعات منهم نحو وادي النيل ونحو الجنوب ونحو الشمال بينما بقي البعض في الواحات.

تعتبر قبائل التبو قبائل حامية يتميزون باللون الداكن وهم نتاج لاختلاط حاميو الصحراء وزنوج السودان.وتمتد مناطقهم ما بين جنوب ليبيا حتى منطقة بحيرة تشاد. أما البجة فهم خليط من التبو والنوبة والعرب (احمد الياس ، 9002). وأما النوبيون فهم مثل حاميو التبو ربما بتأثير زنجي أكبر حيث يمتد وجودهم من منطقة النوبة في شمالي السودان حتى دارفور وجنوبي كردفان. ويعتقد آركل أن الفترة التي اعقبت هزيمة المملكة الكوشية أدت الى «تراجع وزحف الأسرة المالكة إلى كردفان ودارفور حيث تبدو معالم أسلوبهم في النحت والفخار والزخارف باقية الي اليوم، كما يرى أيضاً أن رحلة النوبة بدأت من الشمال عبر الطريق الغربي الى دارفور واستقر بعضهم في جبال الميدوب ومنهم البرقد والميدوب (سامية بشير ، بدون تاريخ).. وقد أشار سلجمان الى وجود علاقة إثنية بين النوبة والفونج (جراهام، بدون تاريخ). وقد حدثت حركة السكان لأسباب مختلفة أهمها تغير الظروف والأحوال الطبيعية. وإتخذ هؤلاء المهاجرون مسالك الأنهار القديمة التي أصبحت أودية موسمية للعبور عبر الصحراء والتنقل بين المناطق المختلفة. وقد نتج عن ذلك انصهار السكان وحدوث التأثيرات الثقافية المختلفة التي تجلت في أسماء الأماكن والأشخاص وغيرها. ولم يقتصر الأمر على مناطق غرب السودان بل امتد حتى جنوب السودان حيث نجد أن اسم مدينة «نيمولي» ذو أصل نوبي حيث أن «ني» تعني يشرب و«مولي» تعني «الجبل» بالنوبية المحسية.

توطدت هذه القواسم المشتركة لقرون عديدة إلا أن حركة التاريخ تأتي بالمتغيرات التي تغير من واقع الجغرافيا. فقد دخل السودان الكثير من القبائل العربية عبر النيل واستقر فيه أو حوله، بينما أتخذ البعض الآخر تلك الأودية القديمة مسالك للوصول إلى بادية كردفان ودارفور ودول مثل تشاد والنيجر ومالي مباشرة من مصر وشمال أفريقيا. وبمرور الزمن بدأ التأثير الثقافي للقبائل العربية في وادي النيل وغرب السودان ينتج واقعاً مغايراً لما كان موجوداً في الماضي. وقد حدث بعض الاختلاط بين تلك القبائل العربية وبعض القبائل الأفريقية ذات الأصول البربرية أو النوبية بينما حافظ البعض الآخر على أصوله التاريخية. لقد خلق هذا واقعاً جديداً، خاصة وأن

القبائل العربية هي في الأصل قبائل رعوية بينما القبائل الأخرى مزارعين مستقرين في قراهم ومدنهم، مما نتج عنه أشكال من الصراع حول الموارد الطبيعية خاصة في ظروف التغير الناخي وقلة الأمطار والزحف الصحراوي. ومن أمثلة ذلك الصراع ما حدث من صراع مسلح في دارفور منذ العام 3002م وتسبب في نزوح وهجرة كثير من السكان المحليين وظهور الحركات المسلحة التي إتخذ بعضها هذه المسالك الصحراوية القديمة طريقاً لغزو مدينة أم درمان وإثارة أعمال العنف فيها مما أحدث كثيراً من المشاكل الأمنية. كما برزت بعض المليشيا العربية المسلحة التي عرفت باسم «الجنجويد» والتي عدّل إسمها إلى»قوات الدعم السريع». وقد تأسست هذه القوات من قبل النظام السابق لتحقيق أهداف استراتيجية في إقليم دارفور ولمكافحة الإتجار بالبشر والتهريب. وبمرور الزمن خلقت هذه القوات حالة من عدم الاستقرار الذي أثر كثيراً على الوضع السكاني والجوانب الاقتصادية والاجتماعية في إقليم دارفور.

لقد كان هذا أحد أوجه تاثير تلك الأودية القديمة على الواقع الجغرافي لمنطقتي وادي النيل وغرب السودان، والسودان بمجمله، ولكن يمكن المناقشة بأن تلك المسالك القديمة قد مهدت لتشييد الطرق الحديثة التي تربط بين مناطق وادي النيل وغرب السودان. فقد تم تشييد طريق أم درمان - بارا الذي يصل إلى مدينة الأبيض في شمال كردفان ومنها يبدأ طريق الإنقاذ الغربي إلى أم كدادة ثم الفاشر في شمال دارفور ثم نيالا فكاس فزالنجي ثم الجنينة في غرب دارفور ومنها الى دولة تشاد حيث يمر بكثير من الأودية القديمة مثل وادي ازوم. وقد أدت هذه الطرق وستؤدي في المستقبل إلى زيادة التبادل الاقتصادي وحركة السكان والتأثير الثقافي بين المنطقتين كما ستزيد من أواصر الترابط مع دول غرب أفريقيا وخاصة تشاد ومالي والنيجر. وقد يؤكد على هذا الدور الاستكشافات الحديثة في البترول والمعادن الثمينة وخاصة الذهب واليورانيوم وخزانات المياه الجوفية الضخمة في الصحراء. فجبل عامر في شمال دارفور ينتج كميات كبيرة من الذهب تحت إشراف بعض شيوخ القبائل أو مليشيات الدعم السريع، يذهب جلّها إلى بورصات الذهب في أوروبا والخليج العربي. كما أن دخول الكيان الإسرائيلي في تحالفات مع بعض الدول مثل تشاد بحثاً عن اليورانيوم هو مثال آخر لما ذهبت إليه هنا. ويدعم هذا الرأي أكثر ما تأكد علمياً بغنى الصحراء الكبرى بمختلف الموارد الطبيعية التي يحتاجها العالم حالياً وفي المستقبل. كما أن بعض الدراسات الخاصة بالتغير المناخي تنبيء بأن الصحراء ستتحول تدريجياً

إلى مروج خضراء كما كانت في الماضي بينما تتحول أوروبا إلى مناطق قاحلة. وقد بدأت بوادر هذا التحول في شبه الجزيرة العربية حيث بدأت الأمطار تهطل بمعدلات عالية في كثير من أجزائها الذي يتميز بدرجة عالية من القحط. والجفاف. سيؤدي مثل هذا التغير المتوقع إلى زيادة التركيز العالمي على الصحراء الكبرى وربما سيؤدي لخلق صراعات إقليمية ودولية حولها. وقد ظهرت بعض المؤشرات على ذلك منها عودة قوى الاستعمار القديم مثل فرنسا إلى تشاد، وظهور خريطة جديدة للسودان الحالي في عام 8002 تشمل خمسة دول أحدها جنوب السودان الذي انفصل في عام 1102م وأربعة دول أخرى يمتد إحداها من الجزء الغربي لولاية كردفان ليشمل دارفور والأجزاء الشمالية لتشاد والنيجر ومالي. وهي دولة مقترحة ستخلق كياناً يضم القبائل العربية الرعوية في نطاق الساحل. وسيؤدي هذا لخلق واقع سياسي وجغرافي مغاير تماماً للواقع الحالي. وقد يكون من مؤشرات هذا الواقع المستقبلي ظهور مليشيات «الدعم السريع» أو «الجنجويد» سابقاً وسيطرتها على المشهد السياسي بالقوة عقب سقوط نظام الإنقاذ بسبب ثورة الشعب السوداني في ديسمبر 8102م. وعلى ذلك تظل الجغرافيا القديمة عاملاً مؤثراً على جغرافيا الحاضر والتاريخ القريب.

الخاتمة

يمكن تلخيص أهم نتائج هذا البحث في الآتي:

1. تعتبر منطقتي وادي النيل وغرب السودان «كينونة جغرافية» متصلة منذ القدم.
2. لعبت الأودية القديمة دوراً مهماً في الربط بين المنطقتين، وظهر ذلك جليّاً في الجوانب العرقية والتقافية والدينية المشتركة.
3. ساعدت الأودية القديمة في إيجاد تكوين قبلي مشترك بين دارفور وبعض الدول المجاورة لا يتقيد بالحدود السياسية مما قد يخلق «جغرافيا مستقبلية» مغايرة لواقع اليوم.
4. وفرت الأودية القديمة مسارات لبناء الطرق الحديثة واستكشاف موارد الصحراء ولفت إنتباه العالم الخارجي لها مما قد يخلق بعض الصراعات الإقليمية والدولية.

المراجع

- أحمـد أحمـد سيد أحمـد، 2000، تاريـخ مدينـة الخرطـوم تحـت الحكـم التركـي 1820-1885، سلسـلة تاريـخ المصريين (185)- الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، القاهـرة، ص 86.
- احمـد اليـاس الحسـين، 2009، سـكان الصحـراء الكبـرى فـي غيـر المصـادر العربيـة، سـودانايل، www.sudanile.com
- احمـد اليـاس الحسـين، 2014، أصـول سـكان السـودان- الجـذور والقواسـم المشـتركة، سـودانايل- خلفيـة تاريخيـة، www.sudaress.com .)
- احمـد اليـاس الحسـين، 2018، تاريـخ غـرب السـودان القديـم : مصـادر دراسـة تاريـخ غـرب السـودان القديـم، سـودانايل، sudanile.com
- احمـد اليـاس الحسـين،-2014 أصـول سـكان السـودان- الجذور والقواسـم المشـتركة، سـودانايل- خلفيـة تاريخية، www.sudaress.com .
- احمـد اليـاس، 2013 : طـرق القوافـل عبـر الصحـراء والممالـك الأفريقيـة جنـوب الصحـراء الكبـرى فـي المصـادر العربيـة، تاريـخ وحضـارة موقـع علـى الانترنـت.
- احمد علي، 2013، المفردات المشتركة بين الميدوب والدناقلة، midob.yoo7.com.
- اسـامة علـى زيـن العابديـن ، 2019، أقليـم دارفـور: الجغرافيـا والسـكان، شـبكة الشـروق، ashorooq.net
- اسـامةعبد الرحمـن النـور، بـدون تاريـخ، فـي أثـر الرعـاة المبكريـن ، رودلـوف كوبـر ترجمـة اسـامة عبـد الرحمـن النـور، اركامانـي مجلـة الأثـار والانثروبولوجيـا السـودانية، العـدد الثالـث ، arkamani.net
- أسعد علي حسن، 2017، من التوراة..موسى وفرعون..بنو اسرائيل، فيس بووك.
- أسعد علي حسن، 2017، من التوراة..موسى وفرعون..بنو اسرائيل، فيس بووك.
- بيت الجغرافيا، 2019، أسوان، https://geo-house. Info
- تاوالـت 2019، هـل تفعلهـا زغـاوة الامازيغيـة وتؤسـس دولتهـا وتمسـى دارفـور عاصمـة لهـا؟www.tawalt.com
- جراهـام عبـد القـادر، بـدون تاريـخ، مـن كتـاب التاريـخ والأسـطورة قـراءة تاريخيـة ونفسـية لحكايـات مـن جبـال النوبـة، نوبـة تايمـز، www.nubatimes.com
- جريـدو الريـاض، 2011، المنطقـة التـي أهملتهـا المنظمـات والحكومـة السـودانية..وتنتظرإتفاق الشـرق، العـدد 15634، 14أبريـل 2011.
- جعفـر بامـكار محمـد ، 2012، البجـا والنوبيـون- بعـض المشـتركات الثقافيـة، سـودانيل، www.sudaress.com
- جعفـر شـاش ، 2005، تاريـخ قبائـل جنـوب النوبـة الاصليين ط 1 تاليـف جعفـر شـاش جامعـة

كانبيرا.
- حسن عثمان، 2012، أصل النوبة، hassannuba.blogspot.com
- الخير محمد حسين، 2013، النوبة والحضارات القديمة، HARGHIESA KUOSHE, hrkisa.blogspot.com
- سامية بشير دفع الله (بدون تاريخ) ، تاريخ الحضارات السودانية القديمة ص 154 (A.J.Arkell, A History of the Sudn, p 43-44).
- سعيد دمباوي ، 2012، اللغة النوبية هي أصل جميع اللهجات النوبية في الشمال والغرب، صحيفة السوداني،، 30--11,www.sudaress.com
- السودان الحقيقي كوش (2015)، أراء المؤرخين والباحثين حول أصل قبيلة الميدوب، هارولد ماكمايكل: Nubian elements in Darfur.
- صبري محمد خليل، 2012، طبيعة اللغة النوبية، سودانيل، www.sudanile.com
- عالم الأمازيغ، 2019، دراسة حالة: الجرميون في فزان والمرويون في وادي النيل السوداني – مقاربة المدن والتمدن من منظور رؤية تطويرية للتعقد الثقافي amazighworld.org
- عبد الرؤوف رهبان،بدون تاريخ، التجارة في العصور القديمة، المرجع الالكتروني للمعلوماتية، almerj.com
- غادة الحلايقة، 2016، كيف كانت الصحراء قديماً، موقع موضوع، https://mawdoo3.com
- فيصل محمد احمد خالد، 2018، اكتشافات تاريخية: وجود أثار لسيدنا موسى ومقبرة أهل الكهف بجبل مرة، موقع النيلين، alnilin.com
- الفيلاني، محمد احمد، 2017، وادي هور ينتظر إعلانه محمية، العربي الجديد، alaraby.co.uk
- قاسم نسيم حماد حربة، 2013، قراءة حول كتاب : الاماويون –النيمانج- بقية الشعب المروي العظيم لعبد الباقي فيرين، سودارس، sudaress.com .
- محمد بن عمر التلمساني، بدون تاريخ، تشحيذ الأذهان في سيرة بلاد العرب والسودان.
- محمد حسين ابنعوف،2017، اللغة النوبية والحضارات القديمة ، مفردات نوبية في وادي النيل، https://m.facebook.com>per
- محمد رشيد ناصر ذوق،2006 ، الجغرافيا وأسماء الأمصار في اللغة العربية، ديوان العرب، www.diwanalarab.com
- محمد عباس عمر، نوبة الشمال ونوبة الجبال هل هم أبناء عمومة؟، sudaneseonline.com
- محمد علاء الدين الادريسي، 2016، نبي الله موسى سوداني وجبل الطور في السودان، المؤسسة الفكرية لتوثيق الحضارة السودانية. https://m.facebook.com
- محمد عوض محمد ، بدون تاريخ، السودان الشمالي سكانه وقبائله،00000

- محمد مصطفى مسعد، بدون تاريخ، –النوبة والاسللام في العصور الوسطى.
- المعرفة، 2019، الزغاوة، https://m.marefa.org
- الموسوعة العربية ، 2019، الصحراء الكبرى، Arab-ency.com .
- نعوم شقير، ، جغرافية وتاريخ السودان،0000000
- ويكيبيدا- 2019، جبال الميدوب.
- ويكيبيديا - وادي هور، 2019.

- **Abdelkareem, M. Eman Ghoneim, Farouk El-Baz, Mohamed Askalany**. 2012. New insight on paleoriver development in the Nile basin of the eastern Sahara. Journal of African Earth Sciences, Volume 62, Issue 1, January 2012, Pages 35–40
- Arkell, A.J. ( ) A History of the Sudn, p 43-44.
- **Burke, K. and Yanni Gunnell** (no date). The African Erosion Surface: A Continental-Scale Synthesis of Geomorphology, Tectonics, and Environmental Change over the Past 180 Million Years. http://memoirs.gsapubs.org/content/201/1.abstract.
- **Burke,K. and Gordon L. Wells** (no date). Trans-African drainage system of the Sahara: Was it the Nile?. http://geology.gsapubs.org/content/17/8/743.short.
- http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0277379103002683
- Ibrahim Omer, 2012, The forgotten origin of the Ethiopian Jews; from northern Sudan, www.jewishnews.com.
- **IEEE** 2007. Paleo-drainages of the Eastern Sahara-The Radar Rivers Revisited (SIR-A/B Implications for a Mid-Tertiary Trans-African Drainage System. Geoscience and Remote Sensing, IEEE Transactions on (Volume:GE-24 , Issue: 4)IEEE Geoscience and Remote Sensing Society. Page 624 – 648. DOI:10.1109/TGRS.1986.289678
- **Kathleen Nicoll**.2004. Recent environmental change and prehistoric human activity in Egypt and Northern Sudan. Quaternary Science Reviews,Volume23, Issues 5–6, March 2004, Pages 561–580.
- **Macgregor Duncan S**. 2012. The development of the Nile drainage system: integration of onshore and offshore evidence. 2012 EAGE/Geological Society of London. http://pg.lyellcollection.org/content/18/4/417.abstract

الفصل الثالث

الصراع القبلي وعوامل الجغرافيا في دارفور

الفصل الثالث

الصراع القبلي وعوامل الجغرافيا في دارفور

المقدمة

تلعب العوامل الجغرافية دوراً مهماً في تحديد طبيعة الصراع ومدى انتشاره، إذ لكل صراع موقع ومساحة ونطاق يتحدد بالنسبة لموقع العاصمة المركزية في الدولة، وبالنسبة لمجمل مساحة القطر[2]. وتؤكد الدلائل وجود علاقة داخلية بين مساحة نطاق الصراع الذي تحدده عوامل قربه لحدود دولة مجاورة ودخول الموارد الطبيعية في الصراع وطول فترة الصراع، والموقع الجغرافي. أما مسافة نطاق الصراع من العاصمة المركزية فتتأثر بمساحة نطاق الصراع وحجم القطر ووجود أو غياب الهوية الدينية أو العرقية والمسعى للانفصال وسط المتمردين[3]. ويُسهّل معرفة مفهوم فضاء الصراع ecaps tciflnoc إجراء التحليل المنظم لبينات الصراع داخل الدولة. أما البعد المكاني للصراع tciflnoc fo ytilaitaps فهو اقتران التداخلات التخومية (التحليل المكاني) والخصائص الشبكية (الشبكة الاجتماعية) بالاعتماد على النظريات المتداخلة بينهما[4]. وبحكم ارتباط الصراعات المحلية بمصالح الحكومات والمجموعات المتصارعة في مستوى الدولة التي تكون جزءاً من إقليم كبير، فبالتالي يعتبر مستوى الإقليم هو الأجدر لتحليل الصراع بدلاً عن قصره على مستوى الدولة كوحدة لتحليله[5].

يحرك رأس المال العالمي كثير من الصراعات المحليّة والإقليمية وترتبط تخومه

2 Halvard Buhaug, Scott Gates.2002. The geography of civil war. J. of peace research 39 (4): 417-433.

3 Halvard Buhaug, Scott Gates.2002. The geography of civil war. J. of peace research 39 (4): 417-433.

4 Colin Flint, Paul Diehl, et al. 2009. Conceptualizing conflict space: Toward geography of relational power and embeddedness in the analysis on interstate conflict. Anals of the Association of American Geographers 99 (5): 827-835

5 Elke Grawert.2008. Cross-border dynamics of violent conflict: The case of Sudan and Chad. Jpurnal of African and Asian studies 43 (6):595-614.

وفضـاءات عملاتـه بالجبهـات السياسـية للـدول الشـعوبية، إذ تمتلـك فرسـنا الفرانـك، والمملكـة المتحـدة الجنيـه الإسـترليني، والولايـات المتحـدة الـدولار. وتسـتخدم هـذه العمـلات خـارج «الوطـن» الأم في التحويـلات بـين الشـعوب أو داخـل الـدول «غـير صاحبـة العملـة» نفسـها. وقـد ظهـر تفـاوت في السـنوات الأخـيرة بـين هـذا المشـهد العقـلاني البسـيط والمنظومـة الحقيقيـة لفضـاءات العملـة والـذي يعـزى لـدور الحـدود التخوميـة للدولـة في الحـدّ مـن تـداول العملـة. وتُظهـر الجغرافيـا الجديـدة للـمال القوة المالية والسياسـية بسـبب أن التحـولات الماليـة الحديثـة تخلـق تحديـاً لسـيادة الدولـة ytngierevos etats. وترتـب عـلى ذلـك إعـادة تشـكيل العلاقـات الدوليـة السياسـية والاقتصاديـة باسـتخدام تفسـيرات الفضـاءات النقديـة القوميـة secaps yratenom lanoitan، والتـي خلقـت توتـرات وخـوف، إلا أنهـا وفـرت فرصـاً للتعـاون[6]. وتتقيـد عمليـات إعـاد بنـاء الدولـة المعـاصرة بمـا يطـرأ مـن تحـولات في العلاقـات المتعـددة وغـير الموجهـة[7].

يؤثـر تدهـور المـوارد الطبيعيـة وخاصـة الأراضي، عـلى القـدرة الإنتاجيـة لـلأرض وبالتـالي إنتـاج الغـذاء وسـبل كسـب العيـش وانتشـار الفقـر وسـط السـكان الريفيـين. ومـع نشـوء الـدول الشـعبوية ذات الحـدود الجغرافيـة صعبـت حـركات الهجـرة التاريخيـة بحثـاً عـن المراعـي وغيرهـا وأصبحـت أقـل جـدوى، حيـث نتـج عنـه ضغـط ديمغـرافي عـلى المـوارد الطبيعيـة، ونشـوء تيـارات الهجـرة الداخليـة التـي اتجـه معظمهـا نحـو المناطـق الحضريـة[8]، حيـث تعتـبر التنميـة الإقليميـة غـير المتوازنـة السـبب الرئيسي للهجـرة الداخلية في السـودان[9]. ويرتبـط التكويـن العرقـي والقبـلي للسـودان بالصحـراء الكـبرى الممتـدة مـن البحـر الاحمـر وحتـى الأطلـسي والتـي بقطنهـا قبائـل البربـر، والبربـر المسـتعربة، والأثيوبيـين (التشـاديين والحاميـين)، والزنـوج (الموسـوعة العربيـة 9102)، والسـكان ذوي الأصـول العربيـة. وتعتـبر

6 Benjamin J Cohen. 2018. The geography of money, Cornell University Press.

7 Jamie Peck.2003. Geography and public policy: mapping the penal state. Progress in Human Geography 27 (2):222-232.

8 Richard E Bilsborrow.1992. Rural poverty, migration, and the environment in developing countries: three case studies. World Bank Publications, Washington.

9 El-Sayed El-Bushra, Naila B Hijazi.1995. Two million squatters in Khartoum urban complex: The dilemma of Sudan's national capital. GeoJournal 35 (4): 505-514.

السلالة E أقوى السلالات الأفريقية وأوسعها انتشارا في أفريقيا وتوجد أعلى نسبة منها وسط الأمازيغ وسكان وادي النيل القدماء وسكان شمال وشرق أفريقيا، وقد أثرت على سلالات حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط. (احمد، 4102). ويسعى هذا المقال لتوضيح دور العوامل الجغرافية ذات الصلة بالنواحي البيئية والتنموية والإدارية والسكانية في نشوء واستمرار الصراع القبلي في السودان.

الموارد الطبيعية لدارفور: قاعدة النشاط الاقتصادي والتداخل السكاني

يغلب الإستواء على سطح السودان، وتعتبر منطقة جبل مرّة التي يصل ارتفاعها إلى حوالي 9803 متراً أكثر المناطق ارتفاعاً. ونتج عن امتداده في ثلاثة عشر دائرة عرضية أن تشكل المناطق الصحراوية 03% من مساحته، والمناطق شبه الصحراوية 02% منها، واللذان يقعان شمال خط عرض °61 شمالاً، ومنطقة السافنا التي تشكل حوالى 83% من مساحته وتمتد من خط عرض °01 إلى خط عرض °61 شمالاً. كما نتج أيضاً تنوع أقاليمه المناخية من السافنا في الجنوب إلى الصحراء الجافة في الشمال. يوفر الإشعاع الشمسي الذي يتراوح متوسطه السنوي اليومي من 50.3 – 26.7 $h\ Wk^{-2-m}$ / yad كيلوات مورداً طبيعياً لانتاج الطاقة الشمسية. كما توفر سرعة الرياح التي يتراوح معدلها السنوي بين 35.1 – 70.5 m^{-1}، ومعدل أعلى سرعة لها بين 53.1 و 5.94 $m\ W^{10-2}$ ، فرصة لإدخال بعض التطبيقات الفنيّة في المناطق الريفية البعيدة[11].

توجد ثلاثة مجموعات من الصخور الأساسية في السودان تتوزع بنسب متفاوتة من مجمل مساحة القطر، وتشمل صخور الأساس (84%)، والصخور الرسوبية (74%)، والترسبات الحديثة (3%)[12]، بجانب سلسلة ارسابات أم روابة التي تغطي منطقة واسعة من وسط وشمال السودان، وتتكون من الطين والرمال القارية غير المتماسكة والطين الرملي. وتحتوي هذه التكوينات الجيولوجية على المعادن الفلزية واللافلزية مثل ارسابات خام الحديد، والكيانايت، والنيكل، والتلك، والتنجستن، والزنك، والذهب والكروم والمنجنيز والملح والميكا، إنتاج الأسمنت من صخور الحجر الجيري منذ 9491م.

10 Abdeen Mustafa Omer.1997. Compilation and evaluation of solar and wind energy resources in Sudan. Renewable energy 12 (1):39-69.

11 Abdeen Mustafa Omer.2008. On the wind energy resources of Sudan. Renewable and sustainable energy review 12 (8): 2117-2139.

12 Geological Research Authority of the Sudan. 2006. International event partners. Compiled by Obued A. and Abel Rahman. GRAS, Khartoum.

كـما وفـرت هـذه الصخـور إمكانيـة اسـتخراج البـترول منـذ 0891م جنـوب شرق أبـو جابـرة بمعـدل تدفـق يبلـغ 11 الـف برميل/اليـوم[13]. وتشـير بعـض التقديـرات إلى امتـلاك السـودان قبـل عـام 1102م مـا يعـادل Ibb 801x001-801x08 من المـوارد الهايدروكربونيـة[14]. كما توفر التكوينـات الصخريـة الميـاه الجوفيـة ذات الإنتاجيـة العاليـة ومعـدلات التخزيـن المرتفعـة والخصائـص المرغوبـة للـشرب والـري[15]. هنـاك التربـة الرمليـة في الإقليمـين الصحـراوي وشـبه الصحـراوي في شـمال وغـرب السـودان، وتتميـز بأنهـا تربـة هشـة وقليلـة الخصوبـة تسـتغل في زراعـة الكثـير مـن المحاصيـل النقديـة، ومراعـي هامـة للماشـية والأبـل.

توفـر الأمطـار مـوارد طبيعيـاً رئيسـياً مهـماً. وتعتمـد عليهـا الزراعـة التقليديـة في أماكـن كثـيرة في غـرب السـودان. بجانـب ذلـك توفـر ميـاه الأمطـار مصـدراً لميـاه الـشرب في كثـير مـن أنحـاء السـودان، وتعمـل عـلى تجديـد المراعـي الطبيعيـة والغابات،وتغـذي الخزانـات الجوفيـة بالميـاه. ويتبـع توزيعـات المطـر سـبعة نطاقـات نباتيـة طبيعيـة، وهـي غنيـة بالمجموعـات الطبيعيـة كـما توفـر المـوارد الجينيـة للنباتـات المحليـة، التـي تشـمل العديـد مـن أنـواع النباتـات البريـة، مصـدراً للطعـام أوقـات المجاعـات في بعـض المناطـق. كـما توفـر النباتـات الطبيعيـة مصـادر وافـرة مـن طاقـة الكتلـة الحيويـة[16].

تسـتفيد الثـروة الحيوانيـة مـن المراعـي الطبيعيـة التـي يوجـد معظمهـا فـي كردفـان ودار فـور، وتحتـل مسـاحة 110 مليـون هكتـار. وتقـدر الثـروة الحيوانيـة بحوالـي 134 مليـون رأس منهـا 3 ملاييـن جمـال، و40 مليـون أبقـار،و 49 مليـون ضـأن، و42 مليـون ماعـز. ويربـى 90% مـن الثـروة الحيوانيـة فـي السـودان فـي النظـام الرعـوي التقليـدي الـذي يعتمـد عـلى المراعـي الطبيعيـة التـي توفـر 86% مـن الإطعـام للقطعـان ، وتوفـر المركـزات 4%، بينمـا توفـر الأعـلاف المرويـة وبقايـا المحاصيـل والمنتجـات الزراعيـة الجانبيـة 10%. وينتـج السـودان سـنويّاً 18.6 مليـون طـن مـن متبقـي المحاصيـل وأقـل مـن 126 الـف هكتـار مـن الأعـلاف المزروعـة [17].

13 E Shekarchi.1979. The mineral industry in Sudan. Mineral Yearbook

14 Asir Sidahmed.2013. Oil and politics in Sudan. Sudan Diviede, 103-120. Link.springer,com

15 E A Farah and N Barazi.1997. Groundwater resourcesin a semi-arid area: a case study from central Sudan. Journal of African earth sciences 25 (3):453-466.

16 Abdeen M Omer.2005. Biomass energy potential and future prospects in Sudan. Renewable and sustainable energy reviews 9 (1):1-27.

17 IA Babiker.2015. Animal feed industry in Sudan, current status, problems and prospects. J Dairy Vet Anim Res 2 (3):0036.

التكوينات القبليّة في دارفور

تتقاسم المجموعة الجنوبية الغربية التي تضم الدارفويون والنوبة وبعض القبائل النيلية صفات جينية مع سكان جنوب الصحراء الكبرى. ويرى ماكمايكل أن تحركات الشعوب التي أتت من جنوب دارفور وكردفان في القرون الميلادية الأولى، والتي عرفت في المصادر اليونانية باسم النوبة واجتاحت أراضي مملكة مروي في مناطق الجزيرة والبطانة وعلى طول النيل شمالي الخرطوم، هي نفس سلالة سكان الجزيرة في القرن الثاني قبل الميلاد، وهم نفس سلالة الشعب الأسود الذي هزمه سيزستريس الثالث في الربع الأخير من القرن التاسع عشر قبل الميلاد في منطقة وادي حلفا (السودان الحقيقي كوش، 5102). وترجع الهجرات العربية إلى أفريقيا إلى قبل مجيء الإسلام، أتت دفعاتٍ متعددةً من الشرق وسكنت ساحل البحر الأحمر، ومن الشمال عن طريق وادي النيل، ومن الغرب أو ما يعرف بالطريق الليبي. وبعد مجيء الإسلام هاجر كثير من المسلمين الى الحبشة. ومنذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري هاجروا عن طريق الشمال الساحلي ومنخفض بينويه الممتد من وادي نهر لوقون حتى بحيرة تشاد، وطريق جنوب شرق أفريقيا بين البحيرات[18]. ترتب على الهجرات العربية قيام الممالك الإسلامية وازدهار التجارة وظهور المدن والمراكز التجارية، وانتشار اللغة وما يتصل بها من العادات والتقاليد[19].

يسكن ولايات دارفور في الوقت الحالي كثير من القبائل (الشكل 1) ينحدر أغلبهم من سلالات السكان القديمة التي سكنت الصحراء أو هاجرت إليها في قرون تالية. فولاية غرب دارفور يسكنها حوالي ثلاث وخمسون قبيلة منهم المساليت والفور والقمر والتاما والمهادي العطرية والارتقا (الشكل 6). ويسكن ولاية جنوب دارفور اكثر من ثلاث وثمانون قبيلة أهمها الصعدة والبرقو واليقو والأمبررو والرزيقات والهبانية والبني هلبة والسلامات والمعاليا والتعايشة (الشكل 6). كما يسكن ولاية شمال دارفور البرتي والفور والزغاوة والرزيقات والتنجر والميمار والميدوب والزيادية والداجو (أسامة 9102). يظهر وجود القبائل التي من المرجح أن أصولها ترجع إلى سكان الصحراء

18 أحمد قاسم احمد. ٢٠١٩. الهجرات العربية إلى أفريقيا وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية جنوب الصحراء. قراءات أفريقية. Qratafrican.com

19 أحمد قاسم احمد. ٢٠١٩. الهجرات العربية إلى أفريقيا وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية جنوب الصحراء. قراءات أفريقية. Qratafrican.com. (أنواع العلوم والمعارف).

القديمة أو هاجروا من وادي النيل إلى هذه المناطق في شمال ولاية دارفور أكثر من أي جزء آخر منها، مثل الميدوب والزغاوة (الشكل 6). وتسكن من قومية الميدوب في ولاية شمال دارفور التي تقع بين خطي طول 42-72 شرق وخطي عرض 21-02 شمال وبذلك تقع موازية عروضياً لوسط السودان النيلي ومتاخمة للحدود السودانية الليبية. وبالنسبة للأصل العرقي للميدوب فهناك من يرى أنهم أحفاد ترهاقا (ويكيبيدا 9102)، وأنهم ينتمون الى الأصل النوبي ويتكلمون لغة أشبه بلغة النوبيين النيليين (محمد بن عمر التلمساني، بدون تاريخ). أما قبيلة الزغاوة فتوجد في وادي هور، وتمتد منطقتهم بين تشاد والسودان من شمال مدينة كتم الى شرق تشاد ومدينة الكفرة في ليبيا. ويرجع البعض أصولهم إلى البرابرة الحاميون «أمازيغ» وهم الشعب الليبي القديم. وقد اتصلوا عن طريق البحر الأبيض المتوسط بالحضارات الفينيقية والمصرية والنوبية القديمة (تاولت 9102). ويطلق الزغاوة كلمة (بِري) على أنفسهم،ويقسمون البِري الى ثلاثة أقسام كبيرة هي الويقي والتوباء والوباراء (المعرفة 9102). ولم يتبقى من الزغاوة القدماء إلا «الحداحيد» الذين يعيشون حياة عزلة وسط الزغاوة ويتحدثون لغة لا يفهمها غيرهم. ويعتبر العرب والزنوج الموجودون في بعض القرى في كردفان ودارفور هم أقل ديمومة مقارنة بأولئك الموجودين في قرى النيلية في محافظة الشمالية. وتتكون العديد من الوحدات الإدارية والعموديات والمشايخ من خليط من المستقرين والبدو. وتعتبر درجة الاختلاف الاجتماعي أكثر بياناً في المحافظات الجنوبية الثلاثة مقارنة بالمحافظات الشمالية الستة بدليل وجود العدد الكبير من اللغات والقبائل. ويمكن تفسير هذا الاختلاف إلى سيادة الاقتصاد الإكتفائي هناك حيث يعيش 72% من السكان في القرى أو في الأكواخ المتناثرة في الغابات، وفي جنوب السودان توجد بداوة ولكنها من نوع يختلف عن ما هو موجود في شمال السودان[20].

20 Rushdi A. Hanin.1963. Economic development and internal migration in the Sudan. Sudan Notes and Records 44: 100-119.

الشكل 1: قبائل دارفور

المصدر: عون الشريف قاسم. موسوعة القبائلو الانساب في السودان

أشكال الصراع القبلي في دارفور وأسبابه الجغرافية

لعبت مواضيع ملكية الأرض دوراً في خلق الفقر وفي قيادة وديمومة الصراع القبلي المستمر[21]، إذ تعتبر الأراضي في المجتمعات البدوية ذات قيمة عالية تتعدى كونها وسيلة لكسب العيش إلى اعتبارها مصدراً للثروة والهوية ودرجة السلم الاجتماعي. فقد أدى نزع الأرض من المجتعات التقليدية في منطقة القضارف ومنحها للمستثمرين الخارجيين، دون وضع اعتبار للحق التاريخي لهذه المجتمعات المحلية وضرورات معيشتهم،

21 Gunnar M Sorbo.2010. Local violence and international intervention in Sudan. Review of African political economy 37 (124):173-186.

للمسـاهمة في ديمومـة الـصراع القبـلي نتيجـة لمـا ترتـب عليـه مـن صعوبـة الوصـول للمراعي ومصـادر الميـاه [22]. كـما أن الـصراع في جنـوب دارفـور هـو صراع إيكولوجـي في الأصـل، يعتمـد عـلى المنافسـة عـلى المـوارد الطبيعيـة، والتـي تشـمل المـوارد الجينيـة للنبـات. وقـد نتـج عـن التـوارن اللـدن بـين طريقتـي معيشـة المزارعـين والبـدو، عـبر الاسـتخدام الجيـد للميـاه ومـوارد النبـات الجينيـة، لحفـظ التـوازن الإيكولوجـي للإقليـم[23].

لعبـت مواضيـع ملكيـة الأرض دوراً في خلـق الفقـر وفي قيـادة وديمومـة الـصراع وخلق تعقيـدات ليـس فقـط في ديناميكيـة الـصراع المحـلي كمجـرد مظهـر للإنقسـامات egavaelc السياسـية الكبـيرة ولكـن في طبيعتـه المدفوعـة بأجنـدة مـن أعـلى لأسـفل ومـن أسـفل لأعـلى[24]. ويرجـع تسـييس noitazilacitilop ملكيـة الأرض في السـودان إلى تقسـيم السـودان في عـام 3291م إلى مواطـن للقبائـل sdnalemoh labirt أو ديـار يمكـن رؤيتهـا بوضـوح في الخرائـط لتديـر العلاقـة بـين الهويـة القبليـة والجغرافيـا، والتـي اسـتمرت حتـى اليـوم. يوجـد داخـل كل دار عـدداً مـن الحواكـير، وهـي الأراضي التابعـة لأسرة أو مجموعـة عرقيـة أو فخـذ nalc مـن القبيلـة أو مجموعـة قبليـة. وقـد سـمحت العلاقـة القويـة بـين القبيلـة وموطنهـا واقتصـار القيـادة عـلى القـادة الأصليـين التقليديـين، للقبائـل الرئيسـية باسـتخدام المـوارد الطبيعيـة الموجـودة والسـيطرة عليهـا في دارهـا وأن تنكـر عـلى القبائـل الصغـيرة أي إدعـاء للحقـوق أو الملكيـة التـي تسـمح لهـا بممارسـة القـوة السياسـية أو الإداريـة[25]. وقـد دعـم الإداريـون إبـان فـترة الاسـتعمار هـذه السياسـة عـن طريـق «نظـار القبائـل» بتخويلهم السـلطات الماليـة والإداريـة والقانونيـة مـع توقـع الحفـاظ عـلى القانـون والنظـام ووحـدة وتكامـل الجوانـب الديموغرافيـة والحدوديـة للـدار المعنيـة. وقـد وفـر هـذا آليـة هرميـة-بنيويـة واضحـة لحـدوث الصدامـات والخـلاف عـلى الأراضي، كـما لم يوقـف محاولـة بعـض

22 Yasin Abdalla Eltayeb Elhadary and Narimah Samat. 2011. Pastoral land rights and protracted conflict in eastern Sudan. The journal of Pan African studies 4 (8):74-90.

23 Jonathan Robinson. 2005. Desertification and disarray: the threats to plant genetic resources of southern Darfur, western Sudan. Plant Genetics Resources 3 (1):3-11.

24 Gunnar M Sorbo.2010. Local violence and international intervention in Sudan. Review of African political economy 37 (124):173-186.

25 Mona Ayoub.2006. Land and conflict in Sudan. Peace by piece addressing Sudan's conflict accord 18. Rc-services-assets.s3.eu-west-1.

المجموعات من الإدعاء على الحواكير بالقوة. وقد تعقّد الوضع أكثر عند صدور قانون الأراضي غير المسجلة لعام 0791م والذي تسبب في تسيس الصراع على الأرض إذ ثبت أنه أكثر قهراً من قوانين الاستعمار. فقد مكّن الدولة من استخدام القوة للحفاظ على «أراضيها»، وتشجع تراكم الأرض في أيدي قلة من المستثمرين الأثرياء المحليين والأجانب، مما أدى لتغريب البدو-الزراعيين عن أراضي أوطانهم التقليدية بانكاره أي شرعية رسمية أو وضعية- عدلية على حقوق الملكيات التقليدية، وإلغاء كل الحقوق والمداخيل ذات الصلة بالمياه والأرض والرعي للبدو[26].

اتخذ الصراع على الموارد الطبيعية في السودان شكلاً تقليدياً تمثل في المنافسة بين المزارعين والرعاة «البدو» حول موارد المياه والأرض، والذي يحدث عادة عند مستوي المجتمعات المحلية، وتزداد وتيرته بسبب سياسات الدولة[27]، ولكنه إزداد حدّة مع التدهور البيئي، وبالتحديد الندرة البيئية (التمييز البيئي) للموارد القابلة للتجديد مثل أراضي المحاصيل الزراعية والمياه العذبة والموارد البحرية والغابات. وازداد الصراع أكثر نتيجة لتدخل العوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والتاريخية[28]، خاصة وأن السودان يعتبر أكثر الدول الأفريقية هشاشة للتغير المناخي نتيجة لعوامل الفقر المتوطن، وتدهور النظم البيئية، والكوارث المركبة، ومحدودة رأس المال والأسواق وضعف البنية التحتية والتقنية[29]. فقد حدثت تذبذبات للتساقط فوق حوض النيل، فقد هاجرت نطاقات التساقط عروضيا فوق النيل الأوسط بحوالي 006 كلم خلال ال 000,02 سنة الماضية. وخلال القرن العشرين حديث التغيرات العقدية ladaced للتاسقط[30]. وتشير

26 Mona Ayoub.2006. Land and conflict in Sudan. Peace by piece addressing Sudan's conflict accord 18. Rc-services-assets.s3.eu-west-1.

27 Munzoul A M Assal.2006. Sudan: Identity and conflict over natural resources. Development 49(3):101-105.

28 Mohamed Suliman, Stiftung E. et al.2005. Ecology, politics and violent conflict. Sudanese journal of human rights' culture and issues of cultural diversity, issue 1: 1-25.

29 Sumaya Ahmed Zakieldeen. 2009. Adaptation to climate change: A vulnerability assessment for Sudan. Gatekeeper series/ International Institute for Environmental and Development, Sustainable Agriculture and Rural Livelihoods Programme; 142.

30 Michael Hulme.1994. Global climate change and the Nile Basin. The Nile sharing a scarce resource. Cambridge University Press, 139-162

بعـض الدراسـات أن حـوالي 021 مليـون هكتـار مـن الأراضي، متضمنـة 46 مليـون هكتـار من التربـة، قـد تدهـورت بدرجـات مختلفـة في السـودان. وتعتـبر النطاقـات النطاقـات الجافـة وشـبه الجافـة الأكـثر تدهـوراً حيـث يعيـش 07% مـن سـكان السـودان[31]. وفي العـادة توجـد ثلاثـة أنـواع مـن حركـة السـكان في غـرب السـودان عـلى أسـاس الاسـتمرارية والتغـير. هنـاك حـركات حدثـت في المـاضي وانتهـت الآن، وحـركات اسـتمرت مـن المـاضي إلى الحـاضر مثـل الهجـرات الموسـمية للبـدو، وحـركات تطـورت في السـنوات الحـاضرة وخاصـة خـلال القـرن الحـالي[32]. وفي الإقليـم الأوسـط مـن شـمال كردفـان أدى الاسـتخدام غـير المرشـد للمـوارد الطبيعيـة للأنشـطة الزراعيـة والرعويـة «البدويـة» لتحطيمهـا، وتسـبب في التصحـر ومـا ترتـب عليـه مـن اسـتبعاد الأراضي مـن الانتـاج في وقـت زاد فيـه الطلـب عليهـا مـن قبـل السـكان المتزايديـن. كـما شـمل الـضرر البيئـي أيضـا العجـز في كميـات الميـاه مـع تغـير نمـط الأمطـار الموسـمي، وزيـادة نمـط الرعـي الجماعـي الـذي قـاد للرعـي الجائـر، وزيـادة الاحتطـاب حيـث كان النسـاء هـنّ الاكـثر تـضررا[33].

يشـير البعـض للتقسـيمات القبليـة أو العرقية-السياسـية lacitilop -onhteبأنهـا المسـؤولة عـن نشـوء الصراعـات القبليـة المحـدودة، إلا أن نـدرة وضعـف قواعـد المـوارد الطبيعيـة واقترانـه مـع أزمـة الحوكمـة هـي أيضـاً عوامـل مؤثـرة. ويتضح ذلـك جليّـاً في بعض المناطـق التقليديـة في السـودان، مثـل إقليـم كردفـان، حيـث أدت الطريقـة القاهـرة elitalov التـي اتبعتهـا الدولـة في تنزيـل جهودهـا noituloved في حوكمـة المـوارد الطبيعيـة لتقليـل قيمـة هـذه الحوكمـة عـلى هـذه المـوارد. ففـي المـاضي كان يتـم إدارة الـصراع بـين الرعـاة والمزارعـين بنجـاح نسـبي عـبر الأعـراف والتقاليـد المرتبطـة بملكيـة الأرض، ولكـن اختلفـت الأوضـاع اليـوم نتيجـة لكـبر القطعـان وقلـة الـكلأ والمـاء ووجـود السـلاح وسـط الرعـاة. كـما أن سياسـات الـوكلاء المفوضـين tneilc-nortap ، وضعـف إدارة المـوارد وسياسـات التنميـة ومؤسسـات الدولـة التـي تفـرض مـن أعلى-لأسـفل قـد شـجعت الاسـتقطاب العرقي والتقسـيم الاجتماعـي[34]. وفي الحقيقـة تنبـع مشـاكل السـودان الريفيـة جزئيـاً مـن الأزمـة

31 Ali Taha Ayoub.1998. Extent, severity and causative factors of land degradation in the Sudan. Journal of arid environments 38 (3):397-409.

32 Tgel Anbia Ali el Dawi. 1975. Migration in Western Sudan. Sudan Notes and Records 56:160-175.

33 B Badri, S Osama.2000. Environmental crisis and its impact on women, the case of the Sudan. Women5: 4-7

34 El Fatih Ali Siddig, Khalid El-Harizi, Bettina Prato. 2007. Managing

الاقتصادية العالمية والتدهور البيئي والمشاكل القومية الأخرى، ولكنها من حيث المبدأ تعتبر مسألة علاقات بشرية بين الإدارة والعمل،وبين الحكومة والشعب نتيجة سيطرة برامج التنمية المفروضة من أعلى لأسفل، إذ لم تمنح المساهمين في مشاريع التنمية الريفية فرصة كافية لرؤاهم وتطلعاتهم ولكيفية تكاملها في هذه البرامج"[35].

تتشكل أزمة الهوية القومية في قلب الصراع القبلي حيث يعتبر الذين يتولون السلطة والحكم أنفسهم عرباً ومسلمون ينتمون للشرق الأوسط وليس لأفريقيا السوداء رغم أنهم في الأساس عرب-أفارقة. فملامحهم الفيزيائية تشبه المجموعات الأفريقية في بالإقليم، وحتى ثقافاتهم خليط من ثقافة العرب والإسلام والنظم والثقافات المحلية[36]. وقد أظهر الصراع في دارفور أن الحرب الأهلية في السودان لم تكن كليا صراعاً بين الشمال والجنوب ، أو بين مسلم ومسيحي بل هو صراع على مستوى القطر يشمل حتى المجموعات المسلمة. فالمجموعتين الرئيسيتين المضادتين للحكومة هما حركة العدل والمساورة وحركة/جيش التحرير السودانية، وهم مسلمون يعتقدون بأن الجنجويد ينحدرون من أصول تشادية ويعتمدون على النهب egallip dna rednulp والسلب لتوفير الأموال ويتلقون دعما مبطنا من الحكومة في الخرطوم[37].

وقد بقيت سياسة إعادة إنتاج القبلية مكوناً أساسياً لنظم السياسية في السودان منذ الغزو التركي في 1281م، حافظ عليه الحكم الاستعماري بسياسته القميئة، والحكم الاستقلالي بايدولوجية بناء الشعب، والأصولية الإسلامية بايدولوجيتها الكونية، حيث تخفت «القبلية» إما تحت في واجهة علمانيةedaçaf raluces ، أو ظهرت في ثوب ديني esiug suoigiler [38]. وأدت التطورات الحديثة خلال الثلاثة عقود الأخيرة لحدوث تغيير تدريجي ومنتظم في طبيعة الصراع، من الشكل التقليدي ذي الطباع العرقي-الديني إلى

conflict over natural resources in greater Kordofan: some recurrent patterns and governance implications. Ageconsearch.umn.edu

35 HRL Davies. 1986. The human factor in developmet: some lessons from rural Sudan. Applied Geography 6 (2): 107-121.

36 Francis M Deng.2006. Sudan: A nation in turbulent search of itself. The Annals of the American Academy of political and social sciences 603 (1):155-162.

37 Ulrich Mans.2004. Briefing: Sudan: the new war in Darfur. Africa Affairs 103 (411): 291-294.

38 Mahmud El Zain.1996. Tribe and religion in the Sudan. Review of African political economy 23 (70):523-529.

آخر حول الموارد، وخاصة مع تفاقم الأزمة الاقتصادية والموارد في شمال السودان[39].

حـدث في السـودان عـبر قـرون عمليـة «تعريـب» تضمنـت الإنتشـار التدريجـي للهويـة العربيـة واللغـة العربيـة وسـط سـكان شـمال السـودان. وقـد فضلـت السياسـات الاسـتعمارية البريطانيـة صفـوة ضيقـة مـن خـلال المجتمعـات «العربيـة» عملـت بوعـي واضـح عـلى تطويـر وتقويـة «مفهـوم الهويـة القوميـة العربيـة السـودانية» بتبنـي مصطلـح «سـوداني». وبعـد خـروج الاسـتعمار أرجـع هـؤلاء القوميـون «التعريـب» في سياسـة رسـمية حثـت عـلى تقويـة نـشر اللغـة العربيـة etagaporp سريعـاً في تخـوم جغرافيـة تتحـدث لغاتهـا المحليّـة، ويناقـض هـذا سياسـة مـا قبـل الاسـتعمار للتعريـب. أصبـح لهـذا الوضـع صلـة بالصراعـات المدنيـة في جنـوب السـودان وجبـال النوبـة ودارفـور، إذ صحـب هـذه السياسـة أيضـاً في بعـض الأحيـان، نمـو عقيـدة الثقافـة العربيـة والتعـالي العرقـي والـذي ثبتأكـثر في دارفـور[40]. إلا أن سياسـة نـشر العروبـة قـد زادت مـن حـدة deneprahs وعـي الهويـات غـير العربيـة أو»الأفريقيـة» في بعـض الأحـوال وهيأهـا لخلـق الصراعـات. وقـد تعـرض البقـارة المهاجريـن ومجموعـة الجلابـة العرقيـة في جبـال النوبـة، والمدعومـين مـن قبـل الدولـة، بسـبب انتهـاك حقـوق الانسـان والإبـادة الثقافيـة والعرقيـة، لضغـوط متزايـدة جعلتهـم يتركـون تقاليـد حياتهـم وأن يفقـدوا الاتصـال بأراضيهـم ومواردهـم الطبيعيـة الأخـرى مـما أدى لخلـق علاقـة مضطربـة مـع الدولـة السـودانية[41].

المناقشة

اتخـذ التكويـن الجغـرافي للسـودان منـذ أن اسـتقر في فـترة الاسـتعمار البريطاني، شـكل الدولـة الموحـدة ذات الأطـراف المتمـردة. فقـد وجـد الاسـتعمار البريطـاني السـودان قطـراً مقسـماً بحـدود مزيفـة، تجمّـع بالقـوة مـن «العـرب» والمسـلمين «الأفارقـة» والمسـيحيين ومعتنقـي الأديـان الأخـرى. شـهد السـودان منـذ اسـتقلاله في 6591م قيـام الحـركات الاحتجاجيـة العرقيـة المسـلحة والإقليميـة التـي أدت لمعانـاة بشريـة عظيمـة وأعـداد مهولـة

39 Mohamed Suliman. 1977. Civil war in Sudan: The impact of ecological degradation. Contributions in Black Studies 15 (1),7. https://scholarworks.umass.edu.

40 Heather J Sharkey.2008. Arab identity and ideology in Sudan: The politics of language, ethnicity, and race. Sfrican affairs 107 (426):21-43.

41 Mohamed A Mohamed Salih. 1995. Resistence and response: ethnocide and genocide in the Nuba Mountains, Sudan. GeoJournal 36 (1):71-78.

من النازحين واللاجئين. وقد خلقت هذه الحركات الاحتجاجية تحديات لشرعية الدولة السودانية المستقلة التي يقودها الصفوة المستعربة والمتاسلمة في موقع السلطة والقوة بحيث يستطيعون تحديد حقوق المواطنة والمسؤوليات. وفي دارفور لم تطلب الحركات المتمردة حقوق متساوية للمواطنة فقط بل طلبت أيضاً الاعتراف بحقوقهم الخاصة التي تشمل حقوق الأرض، والحكومة، والحكم الذاتي والحفاظ على الهويات العرقية-القومية، ففتحت حواراً حول متطلبات المواطنة، وخاصة في محتوى تعدد الثقافات، وتوحيد elicnocer إدعاءات الملكية والآليات المؤسسية المفيدة المطلوبة لخلق علاقة فاعلة بين الدولة ومواطنيها والتركيبات السكانية المحلية[42].

عرف السودان أشكالاً من التقسيم الإداري في العهد التركي تراوح بين النظام المركزي واللامركزي بحيث كان لها دور في تعقيد المشاكل القبلية . محله نظام الحكمدارية الذي ألغي أيضا بتقسيم السودان في 2881م الى خمسة أقاليم هي وسط السودان وبالإقليم الاستوائي وإقليم غرب السودان وإقليم التاكا وملحقاتها. وقد الغي بسبب الثورة المهدية ومن ثم العودة لنظام الحكمدارية[43]. وقد بلغ عدد المديريات ثلاثة عشر هي كردفان وفشودة ودنقلا وبربر وسنار والخرطوم وفازغلي والتاكا ودارفور والاستوائية بحر الغزال والجهات العليا والبحر الأبيض. وقد طبقت المهدية نظاما إداريا مركزياً قمته المهدي ثم الخليفة عبد الله من بعده ، وعين لكل مديرية مديراً كان يسمى عاملاً يساعده معاونون وبعض كبار رجالات القبائل في تدبير شؤون الادارة. كونت خمسة عشر عمالة هي بحر الغزال ، الجزيرة، البحرين، كردفان، دارفور، بربر، الشلك، الدينكا، دنقلا، جبل ادريس، البحر الأبيض، البارية الشرقية، شرق النيل الكبير، بحر الجبل، كسلا، طوكر (61 عمالة). وأنشا الحكم الثنائي ست مديريات هي الخرطوم، سنار، دنقلا، بربر، كسلا، فاشودة، (عدل اسمها الى أعالي النيل عام 4091) بالاضافة الى محافظتي حلفا وسواكن اللتين لم تخضعا لحكم المهدية. واثر الفتوحات التي تمت بعد ذلك أنشات مديريات جديدة ، عليه كونت مديرية كردفان عام 9981 ، جبال النوبة في عام 191 بفصلها عن مديرية كردفان، وبعدها بثلاث سنوات كونت مديرية دارفور ثم مديرية الفونج عام 4291م وهكذا أصبح عدد المديريات 51

42 Amir Idris.2012. Rethinking identity, citizenship, and violence in Sudan. Int. J. of Middle East studies 44 (2), 324-326.

43 محمد أزرق سعيد. ٢٠١٦. التحولات الإدارية والتقسيم الإداري للسودان في تاريخه الحديث. وكالة السودان للأنباء www.suna.net

مديريـة. ونتيجـة للازمـة العالميـة ضمـت الكثـير مـن الولايـات الى بعضهـا البعـض فتكونـت منهـا تسـع مديريـات حيـث أنشـات المديريـة الشـمالية عـام 5391م مـن ثـلاث مديريـات هـي حلفـا ودنقـلا وبربـر، وفي عـام 6391م أنشـات المديريـة الاسـتوائية مـن بحـر الغـزال ومنقـلا، وتكونـت كردفـان مـن مديريتـي كردفـان وجبـال النوبـة، وفي 7391م أصبحـت مديريـة النيـل الابيـض فرعـا لمديريـة النيـل الازرق ثـم أدمجـت في مديريـة واحـدة سـميت مديريـة الجزيـرة والتـي عـدل أسـمها إلى مديريـة النيـل الازرق عـام 2491م، وبقيـت مديريـات الخرطـوم وكسـلا وأعـالي النيـل ودارفـور كـما هـي.. واسـتمر هـذا التقسـيم الاداري حتـى أوائـل الحكـم الوطنـي، وأبقـي عليـه مـع تخفيـض مديريـة الخرطـوم إلى درجـة محافظـة برئاسـة نائـب مديـر كـما كانـت مـن قبـل. ومنـذ أوائـل الخمسـينات بـدأ الـشروع في نظـام حكـم جديـد في السـودان حيـث تـم التوقيـع عـلى اتفاقيـة الحكـم الـذاتي وتقريـر مصـير السـودان في 21 فبرايـر 3591م[44]. وتمـت مقابلـة الطلـب عـلى التغـير الثـوري بعـد مايـو 9691م بنظـام الحكـم الشـعبي المحـلي metsyS tnemnrevoG lacoL s'elpoeP لعـام 1791م بتوجهاتـه نحـو الديموقراطيـة والإشـتراكية وأبـدل بآخـر في 1891م والـذي تفـادى التوجيهـات والأحـكام noitpircserp وتميـز بالمرونـة في التفسـير ووفّـر أساسـاً لإدارة أكـثر فاعليـة[45]. ولا تعـد ندرةالمـوارد البشريـة والماليـة في السـودان، والحفـاظ عـلى السـيطرة السياسـية المحكمـة عـلى الولايـات الجديـدة بجانـب زيـادة أعدادهـا، مثقبـاً rugua قـادراً عـلى تعامـل الولايـات الجديـدة مـع مشـاكلها التنمويـة. فقـد أضافـت اتجاهـات التخطيـط الإقليمـي الحديثـة مثـل تعريـف الفـرص، وتحريـك المـوارد، وتطويـر التنميـة عـلى المسـتويين المحـلي والإقليمـي، تحديـات جديـدة لتلـك التحديـات الموجـودة منـذ تطبيـق نظـام اللامركزيـة الاداريـة في السـودان. وتحتـم الاختلافـات البيّنـة في السـودان تطبيـق بعـض أوجـه الادارة اللامركزيـة عـبر الادارات والحكومـات المحليـة والإقليميـة للاسـتجابة لتطلعـات المجموعـات التـي تواجـه مشـاكل متعـددة في مختلـف أجـزاء القطـر[46].

44 محمد أزرق سعيد. ٢٠١٦. التحولات الإدارية والتقسيم الإداري للسودان في تاريخه الحديث. وكالة السودان للأنباء www.suna.net

45 Malcom Norris. 1983. Sudan: "Adminstrative versus political priorities" In: Local government in the Third World; the experience of tropical Africa/ ed. By P. Mawhood. Pp. 49-73. Africabib.org

46 J P Guimaraes.1997. The new federal system in the Sudan: some main aspects and implications for planning. Eastern Africa social sciences research review 13 (1): 37.

ورث السودان بعد خروج الاستعمار نظاماً اقتصادياً ثنائياً يتكون من قطاع عريض من الزراعة التقليدية الريفية وقطاع حديث صغير غير زراعي. وبقيت هذه الازدواجية الوظيفية حتى تصدير أول سفينة يترول في عام 9991م. إضافة لذلك أدت المؤسسات التي تفتقد الخبرة والتي تولت إدارة الاقتصاد إلى مشاكل هيكلية متداخلة أبطات النمو وخاصة خلال السبعينات. كما أن السياسات الزراعية التي أتبعت منذ منتصف الستينات قد فضلت التوسع في المحاصيل النقدية محفزة بقيمتها التصديرية المرتفعة وأعطت أهمية أكبر لزراعة المحاصيل الغذائية لضمان الأمن الغذائي. ودشنت الحكومات المتتالية سلسلة من خطط التنمية حيث تم إما إعادة صياغتها أو إلغاءها بسبب فشل السياسات أو تغير الحكومات. وبعيداً عن مشاكل التنمية، فقد فاقم الجفاف المتكرر والصراعات المسلحة والعقوبات والحصار الاقتصادي الحديث من الأوضاع[47].

تواجه مجموعات البدو في السودان عمليات تهميش مركبة أسرعت بها أكثر قوانين الأراضي وخطط التنمية غير الموجهة التي وضعتها الدولة، كما تفاقمت أكثر بترك الأليات التقليدية المحلية التي تحكم العلاقات بين الأفراد والمجموعات في المناطق الريفية وتنظم استغلالهم للموارد الطبيعية المتاحة. فقد تعرف الدارسون لتلك المجموعات منذ خمسينات القرن الماضي وما تلاها على ثلاثة أنواع من نظم البداوة. النوع الأول هو البداوة الرعوية msidamon larotsap وتعني الحركات المنتظمة للأشخاص ومجمل الأسرة في البحث عن المرعى والماء، حيث المراعي في الغالب غير متصلة وترتبط بممرات اتصال «مسالك». ولكل مجموعة حقوق تقليدية وحصرية للإقامة والاستفادة من التخوم yrotirret، وتسمى هذه الحقوق بدار المجموعة «وطن» حيث يحفظ راس المال في هيئة حيوانات. ولكن تقلصت هذه التخوم بسبب الزراعة المطرية التقليدية المدعومة باستراتيجيات التنمية التي تتبناها الدولة. والنوع الثاني هو شبه-البداوة، أو البداوة الزراعية، حيث يُترك جزء من الأسرة في الدار «الوطن» بينما يتحرك الباقون مع الحيوانات للبحث عن المراعي الجيدة والماء. وينخرط المتبقين في مختلف الحرف أغلبها ترتبط بالزراعة.والنوع الثالث هو البداوة المقيمةecnamuhsnart وهي شكل من البداوة يمارسها المزارعون المستقرون في نطاق ضيق حول القرى. ومن

47 Khalid Siddig. 2010. Macroeconomy and agriculture in Sudan: Analysis of trade policies, external shocks, and economic bans in a computable general equilibrium approach. SSRN 1684084.

الصعوبة تمييز هذه المجموعات ككيانات منفصلة، والنوع الغالب هو البداوة-الزراعية التي يمارسها كل هذه المجموعات. ومنذ منتصف الأربعينات هدفت سياسات الدولة في شأن الأراضي، والتي وضعتها الادارة الاستعمارية وما تلاها من حكومات وطنية، إلى تهميش البدويين. فقد أوصى تقرير لجنة حفظ التربة لعام 4491 بأن البدويون الرعاة ينافسون المزارعين المستقرين على الأراضي ومن الواجب اعتبار حقوق المزارع أولويةً لأن العائد من المحصول الذي ينتجه بالنسبة لوحدة المساحة التي يستغلها أكبر مقارنة ما للبدوي. واتبع المخططون الوطنيون أنصار توطين البدو، نفس السياسة. واستحوذ الاستثمار في الزراعة المطرية الآلية على معظم الأراضي التي تستخدمها مجموعات البدو في معظم أجزاء القطر مما خلق صراعات حادة بين مجموعات البدو ومالكي المشاريع الزراعية والمجتمعات المستقرة القريبة لمناطق الرعي. وتفاقم الأوضاع أكثر بسبب الحرب الأهلية التي أنكرت على البدو، الذين اعتادوا على الحركة جنوباً، الوصول الى المراعي. ووضعت استراتيجيات ونماذج لتنمية قطاع البداوة، ولعب فيها البدو دورًا مهماً مما أثر على نظم الانتاج الريفي. وكان أكثرها تطبيقاً هو نموذج استقرار البدو منذ أواخر الخمسينات والستينات والذي اعتبر نظام البداوة متخلفا وبسيطا حيث شجع البدو على الاستقرار والتكامل في المجتمعات المستقرة [48]. من المعروف أن التطور الاقتصادي لا يؤثر على كل المجتمعات بمستوى واحد. فالبدوي من كردفان أو دارفور قد لا يتفاعل مع التغيرات التكنولوجية بنفس الطريقة التي يتفاعل بها المزارع المستقر في الولاية الشمالية.

من الممكن أن يؤدي تدهور الأراضي إلى التغير المناخي في السودان. فقد تمت ملاحظة درجات مرتفعة من الحرارة، وأمطار قليلة، وفترات طويلة لسطوع الشمس والإشعاع الكوني، ومعدلات مرتفعة من البخر-نتح خاصة خلال الفصل الرطب بجانب تغيرات في تذبذب الملاحظات السنوية والشهرية[49]. وتشير مختلف الدراسات أن 021 مليون هكتار من الأرض، متضمنة 46 مليون هكتار من الترب، قد تدهورت بدرجات مختلفة لها ارتباطات قوية مع معدلات الكثافة السكانية في مختلف النطاقات الجافة

48 Barbara Casciarri and Abdel Ghaffar M.Ahmed.2009. Pastoralists under pressure in present-day Sudan: an introduction. Nomadic people 13 (1):10-22

49 Nadir Ahmed Elagib, Martin G Mansell. 2000. Climate impacts of environmental degradation in Sudan. GeoJournal 50(4): 311-327.

وشبه الجافة حيث يعيش 07% من سكان السودان[50]. لقد بدأت مشكلات نقص مياه الشرب في الأربعينيات من القرن الماضي عندما زادت كثافة السكان حول مصادر المياه مما تسبب في زيادة تركزات الإنسان والحيوان، والصراع بين الأفراد والمجموعات القبلية، والتدهور البيئي، وإزالة الغطاء النباتي. وقد أدركت الحكومة مبكراً هذه المشكلة وتبنت عدداً من المشاريع الطموحة لتحسين مصادر المياه الريفية في السودان تختلف من منطقة لأخرى. ويعني تحسين مصادر المياه في المناطق الجافة زيادة كمية المياه، أما في المناطق الأقل جفافا فهو أكثر من مسألة جودة لمقالبة أدنى متطلب يومي من المياه للإيفاء بشروط الحياة الصحية والطبيعية والذي تقدره منظمة الصحة العالمية ب 81 لتراً (4 جالون). ويبلغ متوسط الاستهلاك اليومي للفرد في السودان حولي 7 لترات (5.1 جالون)، ويعتبر عدم التوازن بين كمية المياه المطلوبة للحياة الصحية والإستهلاك الحقيقي هو المشكلة المركزية لإمدادات المياه الريفية في السودان[51].

وهناك دور فاعل لأي سياسة في تأثيرها على الفقر ومشاكل تدهور الأراضي. فقد أظهرت دراسة مقارنة عن عائدات الصمغ العربي في النظام الزراعي الغابي الذي يمارسه المزارعون الفقراء في شمال السودان أن السياسات قد لعبت دوراً مؤثراً في هذا الجانب، فقد وجدت ارتباطات بين الفقر والبيئة أدت لتدهور الأراضي. وتؤثر السياسات سواء كانت «جيدة» أو «سيئة» على التحفيز الاقتصادي وتحدد قرارات الأسر الريفية الفقيرة للحفاظ على أراضيها أو تدهورها[52].

وينتج السودان سنوياً 6.81 مليون طن من متبقي المحاصيل. وقد استنزفت الحروب والجفاف معظم مصادر الطعام هذه[53]. وكان من المتوقع أن يحقق السودان معدلات نمو عالية بعد الاستقلال بسبب الأراضي الزراعية الواسعة والغنية ومكون

50 Ali Taha Ayoub.1998. Extent, severity and causative factors of land degradation in the Sudan. Journal of arid environements 38 (3):397-409.

51 Yagoub Abdalla Mohamed, Mohamed el-Hadi Abusin.1985. Rural population and water supplies in the Sudan. Population and development projects in Africa, 254. International Geographical Union. Commission on Population Geography. Cambridge University Press.

52 Edward B Barbier. 2000. The economic linkages between rural poverty and land degradation: some evidence from Africa. Agriculture, ecosystems and environment 82 (1-3): 355-370.

53 IA Babiker.2015. Animal feed industry in Sudan, current status, problems and prospects. J Dairy Vet Anim Res 2 (3):0036.

الـثروة الحيوانيـة المعتـبر والمـوارد البشريـة المقتـدرة. ولكـن لم يتحقـق جـزء كبـير مـن ذلك في الخمسـة عقـود الأخـيرة. فبعـد التمتـع بمعـدلات متوسـطة مـن النمـو والاسـتقرار الاقتصـادي حتـى 5791، بـدأ السـودان في الدخـول في مشـاكل بنيويـة عميقـة. ويرجـع جـزء مـن ذلـك للسيلسـات الاسـتعمارية. فقـد أدخـل الإداريـون البريطانيـون معظـم أجـزاء أفريقيـا المدارية، ومنهـا السـودان،في نظـام التبـادل العالمـي بإدخـال بعـض المحاصيـل النقديـة الأساسـية مـما أثـر عـلى تطـور الفلاحـة الاكتفائيـة وفـرض عوامـل خارجيـة عليهـا. وأعتمـد النجـاح في انتـاج المحاصيـل النقديـة عـلى العلاقـة بـين ذلـك المحصـول وتعقيديـة المحاصيـل الغذائيـة وآليـة التبـادل. ومثـال ذلـك مـا حـدث في منطقـة مريـدي في جنـوب السـودان[54]. لقـد ارتبطـت أسـباب الفقـر الريفـي في السـودان بالتحيـز نحـو الحـضر مـن قبـل اسـتراتيجيات التنميـة منـذ الاسـتقلال[55]. ورغـم الجهـود التـي بذلـت لتقليـل الفقـر في السـودان إلا أنـه لا يـزال منتـشرا بصـورة واسـعة[56]. ويظهـر الفقـر في السـودان حدوثيـة منخفضـة ذات ابعـاد متعددة للأطفـال والبالغـين واختلافـات بـين الولايـات[57]. كان أكـثر مـن نصـف الشـعب السـوداني بعـد الاسـتقلال يعيـش تحـت خـط الفقـر وسـعت حكومـات مـا بعـد الاسـتقلال للتخفيـف منـه. وبالمقارنـة مـع ماليزيـا التـي تشـبه السـودان كثـيرا في النواحـي الاقتصاديـة والاجتماعيـة ، نجحـت ماليزيـا في تخفيـض الفقـر مـن 4.25% في عـام 0791 إلى 2.1% عـام 5102 بينـما حـدث تقـدم قليـل في السـودان. ويرجـع هـذا النجـاح الى السياسـات الوطنيـة التـي وضعـت للنمـو، واسـتبعاد السياسـات المفروضـة بواسـطة المؤسسـات الدوليـة مثـل البنـك الـدولي، والاتاحيـة والاتصـال لتحديـث بيانـات الفقـر، والقـدرة عـلى تطبيـق السياسـات وفـوق كل ذلـك الإرادة السياسـية، وهـو عكـس الوضـع في السـودان[58].

54 Cleophas Lado.1988. Some aspects of cotton as a cash crop development in an historical perspective in Maridi District, Southern Sudan. J. of Eastern African research and development, 24-43.

55 Adam Yagoob, Ting Zou. 2016. Ptterns of economic growth and poverty in Sudan. J. of economic and sustainable development 7 (2),2016.

56 Mutasim Ahmed Abdelmawla.2014. The impact of Zakat and knowledge on poverty alleviation in Sudan: An empirical investigation (1990-2009). J. of economic cooperation and development 35 (4):61-84.

57 Paola Ballon, Jean-Yves Duclos.2015. Multidimensional poverty in Sudan and South Sudan. OPHI working paper No,93

58 Hillo Abdelatti, Yassin ELhadary, Narimah Samat.2016. Addressing poverty in Sudan and Malasyia: A story of success and constraints. J. of sustainable development 9 (2): 206-220.

من المرجح ارتباط الصراع القبلي في السودان بالإرث التاريخي لمسألة الرق. فمن ضمن الاهداف المختلفة التي دفعت محمد على باشا لفتح السودان هو القبض على العبيد السود. وقد ظهر ذلك جليّاً عندما كتب لابنه»أنت واعي جيداً بأن مهمتك في هذه الأجزاء ليس لها غرض آخر سوى جمع الزنوج»[59]. وكان هذا عاملًا رئيسياً في قيام الثورة المهدية واخراج المصريين من السودان[60]. ورغم الغاء العبودية إلا أنها بقيت داخل اقتصاد الظل[61]. وقد وجدت دلائل تاريخية تختص بتوسع تجارة الرقيق والعاج خلال فترة الحكم التركي-المصري في السودان بين 0281-1881 وذلك في ثلاثة مواقع ترتبط بهذه التجارة حول مدينة رمبيك في جنوب السودان. وقد ساعد تأسيس الحكم التركي-المصري على خلق الأحوال للتوسع عن طريق حملات صيد الرقيق في جنوب السودان وإنشاء سلسلة من المعسكرات أو الزرائب في هذه المناطق[62]. واقتصر استخدام المهدية للرق في الاستخدام الداخلي وتصديرهم من السودان. وتحت الاستعمار البريطاني لم تنخفض تجارة الرقيق أساساً بسبب أن البريطانيون أرادوا عمالة رخيصة «حرة» لجني القطن الذي يحتاجونه في مصانع النسيج المتزايدة[63]. وقد تطورت بنية هرمية تاريخية تأطرت مؤسسياً في المكون السياسي للسودان بحيث يمكن التعرف على مركزية الأسطورة التاريخية للاسترقاق والاستعمار في سودان ما بعد الاستعمار[64]. لقد عمل الإستعمار على جلب القبائل المسلمة من شمال نيجيريا للعمل في مشروع الجزيرة وغيره. ولا يعتب نظام الرق جديداً في نيجيريا إذ امتلكت نيجيريا أكبر التجمعات للمالك الإقطاعية في أفريقيا. ففي الشمال توجد ممالك الهوسا-الفولاني والنوب والاقالا وفي الجنوب الغربي ممالك اليوروبا، وفي الغرب الأوسط ممالك بنين-ادو

59 Gerard Prunier.1992. Military slavery in the Sudan during the Turkiyya, 1820-1885. Slavery and Abolition 13 (1):129-139.

60 Reda Mowafi. 1981. Slavery, slave trade and abolition attempts in Egypt and Sudan 1820-1882. Esselte stadium, Lund. Africabib.org

61 Kevin Bales. 2000. Expendable people: Slavery in the age of globalization. Journal of international affaits, 461-484.

62 Paul Lane, Douglas Johnson. 2009.T"he archeology and history of slavery in South Sudan in the nineteenth century". In A. Peacock (ed), The frontiers of the Ottoman world. Pp.509.

63 Richard Lobban.2001. Slavery in the Sudan since 1989. Arab studies quarterly, 31-39. Jstor.org

64 Amir Idris.2005. Conflict and politics of identity in Sudan. Springer. Books.google.com

، ومشـيخات جيـكي واقبـو، وفي الجنـوب الشرقـي جيـوب دول مدينـة اقبـو عـلى امتـداد نهـر النيجـر، حيـث كانـت مجتمعـات اقطاعيـة قبـل مجـيء الاسـتعمار[65]. وكان لإلغـاء الاسـترقاق في شـمال السـودان noitiloba yrevals أثـاراً اقتصاديـة واضحـة[66].

توجـد علاقـة بـين تكويـن الدولـة السـودانية والهويـات السياسـية في إطـار الـصراع السـوداني. ويعتـبر البعـض الـصراع في سـودان مـا بعـد الاسـتقلال في الأصـل صراعـاً بـين التيـار العربي-المـصري الـذي يمثلـه أحـزاب الإتحـادي والبعـث العـربي والنـاصري وأحـزاب أخـرى، والتيـار الفـولاني الأفريقـي الـذي يمثلـه أحـزاب الأمـة والمؤتمـر الوطنـي والشـعبي وتحريـر السـودان وأحـزاب أخـرى[67]. ويـرى البعـض أن فـترة حكـم الإنقـاذ التـي اسـتمرت لمـدة ثلاثـين عامـاً قـد أضعفـت وضعيـة السـودان وسـط المجتمـع الـدولي، ليـس بسـبب توجهاتـه الدينيـة، ولكـن بسـبب سـجله في حقـوق الانسـان ودعمـه للإرهـاب الـدولي[68]، مـما فاقـم مـن الأوضـاع الاقتصاديـة وزاد مـن حـدّة الـصراع القبـلي في السـودان الـذي أصبـح أحـد أذرع محاربـة الحكومـة مـن قبـل الحـركات المسـلحة.

الخاتمة

يمكن أن نخلص من هذا المقال إلى النتائج الأتية:

1. لعبـت العوامـل البيئية-الجغرافيـة دوراً مؤثـراً في الـصراع القبـلي في دارفـور نتيجـة لغيـاب التخطيـط البيئي-المحـلي المناسـب.
2. قـد يعـزى الـصراع القبـلي في دارفـور لعـدم اكتـمال مفهـوم «الوطـن» لـدى نسـبة كبـيرة مـن المواطنـين بسـبب انتشـار الأميـة وسـياد المفاهيـم القبلية.
3. كثـير مـن أوجـه الـصراع القبـلي الحـادث الآن قـد يرتبـط بالنواحـي التاريخيـة لتكويـن الدولـة السـودانية وإرث التفـاوت العرقـي.
4. تطبيـق النظـم الإداريـة الحديثـة في وسـط كثـير مـن المجتمعـات في السـودان ومنهـا

65 Ikenna Nzimiro. 2011. Feudalism in Nigeria. Toward Marxist anthropology: Problems and prospects, 337-363.

66 Peter FM McLoughlin.1962. Economic development and the heritage of slavery in the Sudan Republic. Africa 32 (4):355-391.

67 سيف الدين بابكر. ٢٠١٨/٠٣/١٠. السودان اليوم في صراع بين التيار العروبي المصري والتيار الأفريقي الفولاني منذ ١٩٥٦ فمن ينتصر؟. سودانيز-اون-لاين.https://sudaneseonline.com

68 Donald Petterson.2009. Inside Sudan: political Islam, conflict, and catastrophe. Basic Books. Google.com.

تلك التي في دارفور وعي غير مهيأة لاستيعابها مما أثر كثيراً في تواصل الصراع القلي على مدى العقود.

5. للأطماع السياسية الحزبية والايدولوجية دور في توجيه الصراع القبلي للمصالح السياسية للأحزاب والجماعات المتمرة في دارفور.
6. ساهم المناخ السياسي العالمي في التأثير على الصراع القبلي في السودان عموماً وفي دارفور بصفة خاصة من خلال دعهم وتبنيه للحركات المسلحة التي يغلب على بعضها الطابع القبلي.

يحتاج قليم دارفور للتقليل أو الحدّ من الصراع القبلي بحسن إدارة الموارد الطبيعة ومراعاة ظروف البيئة الجغرافية بالاعتماد على «حتمية» الواقع المحلي بخصائصة المكانية والسكانية والتاريخية، والاستفادة من الإرث الأخلاقي والقِيمي للقبائل التي تسكنه مع بذل نشر التعليم وثقافة السلام.

رقم الإيداع (2021/0606)